الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمن ميرة–بجاية

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

جماليات الوصف في رواية 'خان الخليلي' لنجيب محفوظ

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي معاصر وحديث

إعداد الطالبتين: **إشراف الأستاذ :بطاطاش بوعلام**

بن عودية ليلى

عقوبة سعاد

السنة الجامعية:2018/2017م

الإهـــــداء

أهدي ثمرة عملي هذا:

إلى سندي في هذه الحياة أمي الغالية.

إلى والدي العزيز حفظه الله.

إلى إخوتي كلّ من دليل، مولود، صفيان.

إلى توأم روحي أختي صبرينة.

إلى زوجي العزيز نبيل عبد الوهاب.

إلى صديقاتي: ثانينة، حسينة.

إلى كلّ من ساندني من قريب أو بعيد.

ليلى بن عودية

أهدي هذا العمل:

إلى الشخص التي أمامها تعجز كلّ كلمات العالم أن تعبر عن حبي و إمتناني لها، إلى قرة عيني و من زينت حياتي بوجودها، أمي الحبيبة لو تعرفين كم أحبك.

إلى الذي ضحى بكل ما يملك من أجل أن يربينا و يجعل منا رجالا و نساء دون أن يمل أبي الغالي، شكرا جزيلا.

إلى أخواتي الأحبة: محمود، غيلاس، عبد السلام، و سمير الذي ساعدني كثيرا و أتمنى من الله عزّ و جلّ أن يجازيه خيرا.

إلى أخواتي الحبيبة: ليندة، كهينة و تنهينان إلى كل من رافقتي في مشواري الدّراسي.

إلى كلّ من مدّ يد العون في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

سعاد عقوبة

شكـــر و عـرفـــان:

الحمد و الشكر لله، الذي منحنا نعمة العلّم و يسر لنا سبله، كمّا أتوجه بأسمى عبارات الشكر و العرفان و التقدير للأستاذ "بطاطاش بوعلام" الذي تلقينا منه العلم و المعرفة و الملاحظة القيّمة.كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كلّ من مدّ يد العون و المساعدة.

مقدمة

مـقــدمـــة:

الرواية من أهم الأجناس الأدبية الأكثر انتشارا و الأعمق تعبيرا، حيث أثارت اهتمام العديد من النقاد و الباحثين،تحمل بين صفحاتها ألام الشعوب وأمالهم.

الرواية هي جملة من عناصر متفاعلة فيما بينها وهي: الأحداث ،الشخصيات،الزمان والمكان.

و سبب اختيارنا لهذا الموضوع "جماليات الوصف في رواية خان الخليلي" لنجيب محفوظ هو إعجابنا بأسلوب هذا الروائي فجلّ رواياته هو تجسيد لواقع الحياة المصرية،و من هذا المنطق يمكننا طرح الإشكالية الآتية: إلى أي مدى يستطيع الكاتب أن يؤسس لعمل فني روائي يتضمن تقنيّات الوصف؟أو بصيغة أخرى :كيف وظف نجيب محفوظ تقنيّات الوصف في رواية خان الخليلي؟

وفيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي ساعدنا في دراسة مثل هذه المواضيع.

و قد إشتمل هذا البحث على خطة مؤطرة بمقدمة، وفصلين و خاتمة.

جاء في الفصل الأول تحت عنوان ماهية الوصف و تناولنا فيه مفهوم الوصف بشقيه اللغوي و الاصطلاحي ثم يليه الوصف في الأدب، فتحدثنا عن تطوره عبر العصور، ثم تطرقنا إلى تقنيّات الوصف الخارجي و الداخلي.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان "تقنيّات الوصف في رواية خان الخليلي"، و قد قسمناه إلى ثلاث مباحث أولهما تناولنا فيه تعريف الشخصية ووصفها إلى جانب تقنيّاتها الموظفة، و ثانيهما قدمنا فيه تعريف للمكان ووصفه و أنواعه المغلفة و المفتوحة، أما المبحث الثالث فخصصناه لوظائف الوصف نحو: الوظيفة الإخبارية، وظيفة التطوير، وظيفة التفسير، وظيفة التمثيل، وظيفة التعبير، وظيفة الاستبطان.

و أنهينا بحثنا بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، كما أننا زودنا البحث بقائمة من المراجع و المصادر أهمها: "فن الوصف و تطوره في الشعر الجاهلي" "لإليا الحاوي" "في نظرية الرواية" "لعبد الملك مرتاض"، "العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده" "لابن رشيق القيرواني" "و فن الكتابة، تقنيّات الوصف" "لعبد الله خمار".

و كأي باحث مبتدئ واجهتنا جملة من الصعوبات كقلة المصادر، إضافة إلى ضيق الوقت و هذا مازاد من قلقنا و توترنا.

و في الأخير نحمد الله و نشكره الذي منحنا القوة و الصبر لاستكمال هذا البحث، كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل "بطاطاش بوعلام" على كل ملاحظاته الدقيقة و توجيهاته الشديدة و صبره الجميل.

الفصل الأول :ماهـية الوصف؟

1/ تعريف الوصـف

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

2/ الوصف في الأدب.

أ/ الوصف في العصر الجاهلي

ب/ا لوصف في العصر الإسلامي

ج/ا لوصف في العصر الأموي

د/ الوصف في العصر العباسي

3/ تقنيّات الوصف

تعريف الوصف:

أ/ لغة:

عرف ابن منظور في لسان العرب، مادة وصف (و.ص.ف) فقال : "وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة :حلّاه، و الهاء عوض من الواو، وقيل : الوصف المصدر و الصّفة الجلية، الليث : الوصف وصفك الشيء بحليّته و نعته، و تواصفوا الشيء من الوصف .و قوله عزّ وجلّ :{و ربنا الرحمان المستعان على ما تصفون } واستوصفه الشيء : سأله أن يضمه له، وصف المهر : توجه لحسن السير كأنه وصف الشيء". [1]

وقد فسر ابن رشيق القيرواني الوصف قائلا : "أصل الوصف الكشف و الإظهار يقال: وصف الثوب الجسم إذ نم عليه، و لم يستره. " [2]

أمّا في المعجم المفصل في الأدب جاء على النحو الآتي: "الوصف جزء طبيعي من منطلق الإنسان، فالإنسان بطبعه ميال إلى معرفة ما حوله من الموجودات وتصويرها بالسمع و البصر و الفؤاد ".[3]

نستنتج أنّ الوصف يدور في فلك إبراز حالة الأشياء على حقيقتها و وصفها وصفا دقيقا.

1- ابن منظور ، لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1993 ، ط 1، ص 325 .

2- ابن رشيق ،القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، دار السعادة للطباعة والنشر، ط1، ص295.

3-محمد التونجي،المعجم المفصل في الأدب،دار الكتب العلمية،1999،ط2،ص884.

ب/اصطلاحا:

تضاربت و اختلفت أراء الدارسين في تحديد مفهوم الوصف منذ أزل بعيد، أيّ من عهود العصور الجاهلية إلى العصر الحديث، "فالوصف عند العرب القدامى هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسم، و تلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال و تحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق تتطلب الإحاطة بنواحيها و السمو إلى أفاقها وجدانيا، و إحساسا مرهفا وذوقا سليما، كمّا يرون أنّ الوصف ظهر كفن راق عند الشعراء فهم أول من نطق به ،وخير دليل على هذا قراءتك للشعر الحماسي ستجده وصفا لضروب من الشجاعة و الصرامة و عرضا لصور البطولة و القوة، واصفين شعورهم ووجدانهم مصورين أحوالهم و شكواهم وملهاهم". [1]

إذن الوصف في بداية الأمر يتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها كما هي في العالم الخارجي و تقدم في صور أمينة عاكسة للمشهد، و معنى كلّ هذا أن الوصف قديما يهدف إلى نقل الأشياء بصورتها الحقيقية.

و يعرفه قدامة بن جعفر في كتابه الموسوم ب "نقد الشعر " : "إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال و الهيئات ولما كان وصف الشعر إنمّا يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني " .[2]

1- عبد العظيم علي فتاوي، الوصف في الشعر العربي، مصر، ج1،1949 ،ص 42 ،43.

2- قدامة بن جعفر، نقد الشعر العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 130.

لكن تعددت المذاهب ووجهات النظر في العصر الحديث حول مفهوم الوصف فعرفه أدباء هذا العصر "أنه فن من فنون الاتصال اللغوي يستخدم لتصوير المشاهد وتقديم الشخصيات، و التعبير عن المواقف و المشاعر و الانفعالات، هو رسم لصورة الأشياء بقلم الفن و الحياة، فعندما نريد وصف إنسان أو مكان أو أي شيء فنحن نرسم له صورة بالكلمات لا بالألوان، و نحاول قدر الإمكان أن تكون الصورة المماثلة للشيء الموصوف بحيث يظن القارئ أنه لا يقرأ وصف لشيء ما وإنّما يراه بالعين".[1]

الوصف ها هنا يفتح المجال للأديب أن يرسم للقارئ و ينقل له بواسطة عبارات الصور الجمالية للعالم، لذا قد جاء في معجم السرديات على "أنه نشاط فني لمثل بالغة الأشياء و الأشخاص و الأمكنة و غيرها و هو أسلوب من أساليب القص ليتخذ أشكالا لغوية ".[2]

نستنتج مما سبق أن الوصف آلية من الآليات الفنية فبفضله يستطيع الروائي أن يسلط الضوء على جلّ التفاصيل الدقيقة لمظهر ما كان أو شيئا أو شخصا.

الوصف عنصر بالغ الأهمية في تشكيل النصوص الأدبية فهو "عبارة عن عدسة يرصد جل العناصر الدقيقة و هذا ما يضفي تفردا خاصا لهذا العمل، فالوصف قد يكون يكون أكثر ضرورة للنص السردي، إنما أيسر أن نصف دون أن نسرد، و ما أعسر أن نسرد دون أن نصف"[3].

1-مهارة الوصف،وزارة التربية والتعليم،قسم التعليم المتوسط،السكريتيرة التربوية،إدارة المعارف التربوية،ص04.

2- مجموعة من المؤلفين ، معجم السرديات، دار محمد للنشر ، تونس 2010، ط1، ص 472.

3-عبد المالك مرتاض، في نظرية الراوية، بحث في تقنيات السرد، علم المعرفة، الكويت، 1998، ص 250.

2 - الوصف في الأدب :

أ – الوصف في العصر الجاهلي :

"تقوم فنون الشعر الجاهلي – أو تكاد – على الوصف، حيث أنّ الوصف له شأن كبير لديهم،كمّا أن لهم قدرة فائقة عليه، فهو وسيلة مثلى لدى الشعراء الجاهلين ، فتراهم قد وصفوا كلّ ما وقع عليه حسّهم" [1].

ارتبط الوصف منذ القدم بالشعر أكثر من النثر و هذا ما جعل الكثير من الأدباء يعتقدون أنّ الوصف لا يكون إلا في الشعر و هذا راجع إلى هيمنة الوصف في أغراض الشعر. [2]

" الوصف صفة ملازمة للنفس البشرية خاصة في طور البداوة فالشعراء يمليّون إلى كل ما تراه العين، فكانت أشعارهم عبارة عن لوحات فنية نقلت بدقة و براعة عن البيئة التي تعيشها. [3]

إذن الوصف عند الجاهلين هو عبارة عن آلة فوتوغرافية تصور بداوة العرب و حضارتهم بدقة شديدة.

1- أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي ، الدار المصرية اللبنانية ، 2004 ، ط 1 ، ص 13.

2- قدامى بن جعفر، نقد الشعر، ص 91.

3-إليا حاوي ، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي ، دار الكتب اللبنانية للطباعة و النشر ، 1987 ، ط2 ، م1 ، ص 07.

إذا كانت الشعوب القديمة تعد الشعر فن من فنون الحياة، فقد أوشك عرب الجاهلية يعدونه الحياة نفسها يفرع فيه الشعراء أيام العرب و أنسابهم و قيمتهم.[1] و لهذا جاءت لغة العرب واضحة الدلالات، و أدبهم صريح المعاني غير مبهم أو غامض فلا يعتمد على الرموز و الإيحاءات.[2]

الشعر الجاهلي ما هو إلا سجل يتمظهر فيه جلّ معالم الحياة الجاهلية على عمقها و لبّها فيجعلون المتطلع لقصائدهم أنهم يعيشون في قلبها و لا يتخيلها تخيلا.

"إذا تأملنا الشعر الجاهلي برمته- إن صح التعبير- فتجده يبدأ بالوصف دائما كما أسلفناه، كوصف الأطلال، فقد كان الطلّل أكثر ما تناوله الشاعر الجاهلي في شعره، به يبدأ كل وصف و كل غرض من أغراض الشعر" [3].

نظم امرؤ القيس قصائد كثيرة في وصف الأطلال و إذا أمعنّا النظر في معلقته نجد ورود الوصف بشكل جلي، و خير مثال على هذا وصفه لما يجري بين العاشقين و لا ينقص الصورة تلوين، بل هي كاملة التكوين، و أي صورة أكمل من قوله:

---

1 -عبد العظيم علي فتاوي ، الوصف في الشعر العربي ، ص 42، 43 .

2-ينظر، غازي طليمات، الأدب الجاهلي قاضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص 37 .

3-إليا الحاوي، فن الوصف و تطوره في الشعر الجاهلي، ص 22 .

هَصِرتُ بفُودِي رَأْسهَا فَتَمَايَلَتْ

عَلى هَضيمِ الكَشحِ ريَا المُخَلخَلِ

مُهَفهفَةُ بيضاءُ غَيْرَ مفاضةُ

تَرائبُهَا مَصْقولةُ كالسَنجَنجَلِ [1].

لقد سارت معلقته على هذا النحو أين إعتمد الشاعر على المنهج الوصفي.

تأثر الشعراء إلى درجة أنه إذا بكى امرؤ القيس بكى الأخرون و إذا أوقف مطيته أوقفوا مطايّاهم،فكان "الوصف عند الجاهلين عدتهم في تصوير و تقريب ما حوله، وحدقته المبصرة،تجول فيما حوله من الطبيعة المفتوحة الأرجاء من أرض وسماء و بادية وأكل...إلخ كل ذلك يحاول تصويره و نقله كما يراه"[2]، و لقد أكدّ القرآن الكريم بهذه الحقيقة فقال عزّ و جلّ: ﴿نَحنُ أَعلَمُ بمَا يَصفُونَ﴾[3].

وصف الشاعر الجاهلي الصحاري بكثرة فإذا تأملنا شبه الجزيرة العربية لأدركنا لأول وهلة أنها عبارة عن وحي صادق لشاعريتهم، فهي نبع غزير الوصف،هي صحاري لا

1-ينظر،عبد العظيم علي فناوي، الوصف في الشعر العربي، ص 45 .

2- إليا الحاوي، فن الوصف و تطويره في الشعر الجاهلي، ص 20.

3-القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية 96.

أنهار تجري فيها، فالقحط يشملها في كلّ جانب، جرداءٌ قاحلةٌ بلا نبات، و هذا ما جعل الشعراء يتأملون هذه المظاهر الطبيعية فيصفونها:

إنَّ الذِي حَرَمَ الصَحَارِي مَنظرًا

أَلْقَى عَلَيْهَا للجَلَالِ شِعَارًا

رُوحيةُ صُدفَتْ عَنْ الدُنْيَا وَمَا

فِيهَا و أَضْحَتْ للشُعُورِ مَثَارًا[1].

" من طباع الصحاري أنها تمتاز بهدوءها الدائم و ذلك الصمت المخيف،السكون الذي يملأُ آفاقها وحشية و رهبة، لكن أشعة شمسها تبعث الحياة في الغابة الكثيفة فتنطلق الأطيار في كننهَا"[2].

"ألهبت الطبيعة المفتوحة المنبسطة حسّ الشعراء الجاهلين، فبرزوا كثيرا في وصف مشاهد الطبيعة التي يعيشون فيها و يمشون على مناكبها من جبالٍ و سحابٍ وأمطارٍ و رعدٍ و برقٍ و رياحٍ"[3].

فيقول امرؤ القيس في وصف المطر:

1-ينظر، عبد العظيم علي فتاوي، الوصف في الشعر العربي، ص 49.

2- غازي طليمات، الأدب الجاهلي، قضاياه،أغراضه، أعلامه، فنونه، ص 87.

3- علي الخطيب، في الوصف في العصر الجاهلي، ص 13.

ديمةُ هطلاءُ فِيمَا وَطَفُ

طِبقَ الأرِضِ تَجْرِي و تَدِرُ.

تَحْرِجُ الْوِدَّ إِذَا مَا أَشْجَذتُ

وَ تُوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ[1] .

و في موضع أخر يصف البرق الذي يصاحبه السحاب الممطر فيقول:

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَ مَيْضُهُ

كَلَمْعِ اَلْيَدَيْنِ فِي حَبيّ مُكَلَّلِ.

يُضِيُء سَنَاهْ، أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ

أَهَانَ اَلْسَلِيطَ فِي اَلْذُبَالِ اَلْمُقْتِلِ[2] .

قطعت المدينة الحديثة صلّة الإنسان بالحيوان وقد نجم عن هذا القطع حرمان أبناء العصر من تجارب و خبرة هامة، و لهذا قد خسر هذا العصر منبعا عفويا أصيلا يميل إلى الغموض و الرمز عكس الشاعر الجاهلي، فكانت صلته قوية بالحيوان تعدت

---

* الديمة: المطر الدائم\ الوطفاء: الدانية من الأرض \ الود:الوتد \ أشجذت: كفت \ الحبي: السحاب المرتفع.

1-ينظر، علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص 24 .

2- المرجع نفسه ص 25 .

صلته بالإنسان، فقد زخر الشعر الجاهلي بمقطوعات أو بالأحرى مطولات تصف الحيوان، و قد ارتبطت حياتهم بالرعي و الصيد و جعلوا الحيوانات الأليفة أنسهم في الوحدة و مركبهم إذا تعبوا و حتى رفيقهم في السفر.[1]

رأس هذه الحيوانات الإبل و الخيل...، فالإبل ذكر في الكثير من القصائد الجاهلية لمنزلته الهامة، هذه الصلة القوية جعلت الشاعر العربي معنيا بوصف الناقة، فيصورها في كل حالاتها، فيحشر بها ألاف الكلمات التي تصفها مثل: وصف بشامة بن الغدير ناقة أعدّها للرحيل وصفا مطولا استغرقت ثمانية عشر بيتًا فقام برسم هيكلها الضخم وقوة جسدها و سرعتها و نشاطها فيقول:

هَجَرَتْ أُمَامَةُ هَجْرًا طَوِيلاً
وَ حَمَلَكَ اَلْنَأْيُ عِبْئًا ثَقِيلاً

فَقَرُبَتْ لِلرَحِيلِ عَيْرَانَةً
غُذَافِرَةُ عَنْتَرِيسَا ذُمُولاً[2] .

---

*أمامة: خليلته المتخيلة \النأي: البعد\ العيرانة: الناقة شبهها في صلابتها\ العترس: الشديدة الجريئة.

1-ينظر، غازي طليمات، في الأدب الجاهلي،قضاياه،أغراضه،أعلامه،فنونه، ص 95.

2-المرجع نفسه،ص،96.

فإعجاب الشاعر بناقته دفعه إلى تأملها ووصفها وصفا دقيقا مستمتعا بحركة من بحركتها.

وطرفة بن العبد أيضا وصف ناقته في معلقته الشهيرة، فعدها صديقة حمْله وترحاله، رفيقة إقامته، تحمل له الكلّ دون أن تشكو فيقول:

وَ إِني لأَمْضِي اَلْهَمَّ عِنْدَ اِحْتِضَارِهِ

بِعَوْجَاءِ مِرْقَالِ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي. [1]

كمّا قد وصف الشعراء الجاهليون الغزال و الكلاب و البقار و كذا الطيور، كالنعام والنسور و الحمام وغيرها، فوصفوها أوصاف فنية راقية المستوى و هذا ما يدل على أنهم أناسا بلغوا شأنًا عظيما في البيان.

كما قد وصفوا الكروم النباتية في واحات الصحاري، و ظلال النخيل من أعناب وثمار كالتين و الرمان و التفاح.[2]

"عاش العربي في العصر الجاهلي حياة كلها شغف تحيط به الأخطار والمخاوف والأهوال من كل جانب ، فحياته برمتها يحيّاها بين المغاور والجبال بحثا عن سبل

1-ينظر، عبد العظيم علي فتاوي، الوصف في الشعر العربي، ص 71.

2-علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص 148.

العيش من ماء و عشب، ضف إلى ذلك أنّ حياته لم تخل من خوض المعارك فكان دائم الترحال و الحراسة لذا لايفتأ بحمل سلاحه أو حتى لايفارقه أينما سار، فهكذا كان العربي الجاهلي يقضي يومه حاملاً روحه في كفه و في الكف الآخر حاملا سلاحه، فالموت عنده شيئاً مألوفًا يقول عنترة العبسي:

بَكِرَتْ تُخَوِفُنِي اَلْحُتُوف كَأَنَّني

أَصْبَحَتْ عَنْ غَرَضِ اَلْحُتُوفُ بِمَعزلِ.

فَأَجَابَتْهَا إِنَّ اَلْمَنِيّةُ مَنْهَلُ

لَابُدَ أَنْ أَسْقِي بِكَأْسِ اَلْمَنْهَلِ.[1]

لهذا قد أسرف الشاعر الجاهلي في وصف أسلحته كالرمح و الترسِ، نظرا لأهميتها القصوى في حياته.

لقد وقف الشعراء الجاهليون مطولاً في تصوير حبهم العميق للمرأة و معاناتهم القاسية لفراقها مثل ما ورّد في معلقة عنترة ابن شداد أين وصف ثغر عبلة بروضة لم تطأها أي دابة فقال:

أَوْ رَوْضَةَ أَنِفَا تَضَمَنَ نَبْتَهَا

غَيْثُ قَلِيلُ اَلْدِّمَنِ لَيْسَ بِمُعَلِمِ[2] .

1-ينظر،علي أحمد الخطيب،فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص 202.

2-ينظر،غازي طليمات، الأدب الجاهلي، قضاياه ،أغراضه ،أعلامه ، فنونه ،ص 71.

كانت الطبيعة ملاذا الشعراء الجاهلين "فإقترنت صورها الطبيعة بالأزمنة أين تحدث الشعراء عن الفصول و ميزات كّل فصل من مشاهد و أنوار ، فالشتاء زمان البرد والزمهْرِير و يليه زمان الربيع الطلق فينهمر مطره مرة بعد مرة أين يذوب ثلج الشتاء القاهر فيقول عُبيد ابن الأبرصْ:

فِي رَوْضَةٍ تَلِجُ اَلْرَبِيعَ قَرَارَهَا

مُوْلِيَّةُ لَمْ يَسْتَطِعْهَا اَلْرُوّدِ.

و أخيرا زمان الخريف فهو زمان إختراف الثمار اليانعة"[1] .

نستنتج أن المتطلع لأدب العصر الجاهلي يحس أنه قام بنزهة في واحات الصحاري لدقة تصويرهم و براعتهم الشديدة لوصف ما حولهم.

1- "من أبرز خصائص الوصف عندهم أنه لم يكن غرضا منفردا في الشعر الجاهلي فالوصف ركن من أركان القصيدة كالحجر في البناء.

2- غلبة الطابع الحسي على الصوّر وقرب المشبه من المشبه به.

1- غازي طليمات، الأدب الجاهلي،قضاياه،أغراضه،أعلامه،فنونه، ص 87.

3- تجسيد المعنى أو تجسيمه، أيّ التعبير عن الفكرة المجردة بمخلوق حيّ.

4-القص و المحاورة و تشيع هذه الظاهرة في قصائد الطردّ.

5- الاستطراد يعني إنتقال الشاعر من موصوف إلى موصوف، و عودتها إلى الأول مثل: إنتقال الشاعر لبيْد من وصف الناقة إلى الحمار الوحشي بعشرة أبيات ثم إلتفت كرّة أخرى إلى الناقة.

6- الواقعيّة، وأبرز مظاهرها النقل الأمين من البيئة، الدقة في الرسم، تلوين المرسوم رصد حركاته، و يتجلى ذلك في وصف الطبيعة.

7-البراعة في استخدام اللغة، و الإيقاع و نعني به تقطيع الكلام على نحو يناسب حركات الفكر"[1].

هذه من أهم الخصائص العامة لشعر الوصف في العصر الجاهلي.

ب-الوصف في العصر الإسلامي (صدر الإسلام):

يطلق على عصر الرسول عليه الصلاة و السلام بعصر النبوة، و قد شهد هذا العصر الكثير من التغيرات و التطورات في جميع النواحي خاصة الدينية.

"لقد قامت الحياة العربية قبل مجيء الإسلام على النظام القبلي خدمة له، و هذه الأخيرة كانت بمثابة وحدة سياسية، إجتماعية و إقتصادية، فالشاعر هو الذي يسجل

1- غازي طليمات، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه172.

مآثر قومه، أمّا فجر الإسلام فقد صار الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية"[1] ، "أين قد بهّر العرب بالقرآن الكريم[2] .

الإسلام لم يكن حدثا جديدا فحسب بل كان لأول الأمر حدثا خطيرا في حياة العرب، فقد أخرجهم من عالم التعبد للأوثان و قوى الطبيعة التي كانت ملاذا لهم إلى عالم آخر مناقض تماما و هو عالم التوحيد و الإيمان بالكائن الأعلى مدبر الكون ومنشئه، و من عالم الظلم و العدوان و إقتراف الآثام إلى عالم الأمن و العدل والمساواة و الأخلاق الفاضلة، و من عالم التشتُت في واحات القبيلة إلى عالم التجمع في أمة واحدة متكافلة يشد بعضها شدًّا، وهذا طبيعي أن يترك أثارا في نفوس العرب، لكنهم قد أمنوا به أخلص الإيمان و أصدقه و قاموا يحمونه بسيوفهم و أرواحهم و شعرهم[3].

ليس من ريّب أن العرب قد تأثروا تأثرا عميقا، و يستوي ذلك الشعراء وغير الشعراء

1- سامي مكي الغاني، الإسلام و الشعر، علم المعرفة، الكويت، 1996، ط1، ص 07، 15.

2- زهدي عبد الرؤوف، أدب صدر الإسلام و الدولة الأموية، دار الحسن، عمان، الأردن، ط1،ص 11.

3- النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للنشر، 1965، ص 65.

و ما كان للشعراء ليحرموا هذا التأثير و هم يمتازون بدقة الحس و رقة الشعور اتجاه بيئتهم[1].

في هذا العصر هجر الشعراء معظم الأغراض الشعرية التي تتعارض مع تعاليم الإسلام كالغزل الفاحش، وصف الخمر و مجالس اللهو و الفخر بالباطل و الهجاء القبلي، و قد نبعت أغراض أخرى تتماشى مع الأصول الإسلامية كالدعوة إلى الدين الحنيف و العمل به و مدح الرسول عليه الصلاة و السلام.

العصر الإسلامي لم يخل من عناصر شاعرية راقية أمثال حسان بن ثابت، كعب بن مالك، عبد الله بن رواجه. "فقال عليه الصلاة و السلام لحسان بن ثابت: ﴿اُهْجُهُمْ يَعْنِي قُرَيْشَا فَوَاللهِ لَهِجَائُكَ عَلَيْهِمْ أَشَدُ مِنْ وَقْعِ السِهَامِ فِي غَلَسِ الْظَلاَمِ، أُهْجُهُمْ وَ مَعَكَ جِبْرِيل رُوحُ الْقُدُسْ﴾. فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه و سلم شعراء يحثهم على الشعر فيستمع لهم"[2].

يقول عليه الصلاة و السلام: " ﴿إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرُ، وَ إِنَّ مِنَ الْشِعْرِ لَحِكْمَةُ﴾"[3].

1-النعمان عبد المتعالي القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص07 .

2- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده، ج1، ص 09.

3-المرجع نفسه ، ص10.

لذا إذا تفحصنا في كتب الأدب و التاريخ لوجدناها "تزخر بما نظم من أشعار في صدر الإسلام و هي أشعار كثيرة فليس هناك حدث كبير إلا و يواكبه الشعر و يرافقه"[1]، ووصفوه وصفا راقيا.

وصف شعراء هذا العصر المعارك الحربية و على رأسهم كعب بن زهير الذي وصف جيوش المشركين أشبه ببحر في كثرتهم و لكن جيوش المؤمنين أكثر بكثير فيقول:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ اَلْبَحْرِ وَسَطُهُ

أَحَابِيَش مِنْهُمْ حَاسِرُ وَ مُقْنَعُ

ثَلَاثَةُ أَلَافٍ وَ نَحْنُ نِصْيَة

ثَلَاثُ مِئَتَيْنِ إِذْ كَثُرْنَا وَ أَرْبَعُ [2] .

ضف إلى هذا "حسان بن ثابت الملقب بشاعر الرسول صلى الله عليه و سلم، قد ناصر الإسلام و دافع عنه بلسانه أكثر من السيف و الرمح ،فكتب في أغراض عدة كمدح الرسول صلى الله عليه و سلم، الفخر و الوصف أين برع في وصف خيل المسلمين، فأخذته نشوة بالإعجاب بها و هو يراها تشق الطريق صوب الأعداء" .[3]

1–دكتور شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط6، ص 42.

2–الأنصاري بن مالك، الديوان، دار الطباعة ، بيروت، لبنان، ص 60.

3–ينظر، غازي طليمات، الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ص 410.

وشاركت النساء المسلمات في المعارك و الغزوات التي يقودها الرسول صلى الله عليه و سلم، فقمنّ بتأدية واجبهن على أحسن وجه من خدمات الإسعاف و التضميد للجرحى...و هذا ما جعل حسان بن ثابث يصف دورهنّ في المعارك قائلا:

يُبَارِيـنَ اَلْأَعْنِـةُ مُصْعَـدَاتُ

عَلَـى أَكْتَافِهَـا اَلْأَسْيُلُ اَلْظُلُمَاءُ

تَظَـلُ جِيَادُنَـا مُتَمَطِرَاُت

تُلْطَّمِهـنَ بِالْخَمْـرِ اَلْنِسَـاءُ.[1]

في هذا العصر الذهبي برز غرض جديد و هو" شعر الفتوحات الإسلامية التي ترسم صورة مشرقة للانطلاقة الهائلة الواسعة التي انتزعت العربي من حيزه الضيق لتطوف به في أرجاء بعيدة أضيفت إلى فن الوصف."[2]

1- القاضي النعمان علي المعتال، شعر الفتوح الإسلامية، ص 10.

2- المرجع نفسه،ص11.

إنّ الشعر في عصر النبوة تأثر بالفكر الإسلامي، فجلّ موضوعاته متصلة بالدعوة إلى الدين الجديد، و أنّ أهم خصائص شعر الوصف في هذه الحقبة أنه مازال ممزوجا بموضوعات أخرى ، فالشعراء مازالوا يعيشون حياة البداوة .

ج-الوصف في العصر الأموي:

"انتهى عصر النبوة و الخلفاء الراشدين باغتيال علي بن أبي طلب"[1]فبدأ العصر الأموي وظهرت فيه الكثير من الأغراض الشعرية .

ازدهر الأدب العربي بشقية الشعر و النثر، إزدهارا كبيرا فتعددت فنونه و شملت التجدد في كل مظهر من مظاهرها و الأسباب التي أدت إلى هذا الازدهار كثيرة ومتضافرة منها:

- ✓ الدولة عربية الصيغة و ملوكها عرب و لغتها هي العربية.
- ✓ مواطن اللغة و الثقافة و الأدب كثيرة في عصر بني أمية.

1-أحمد الإسكندري، أحمد أمين علي الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف، المفصل في تاريخ الأدب العربي، مكتبة الأدب العربي، القاهرة، ط1،ص 123.

✓ عناية الخلفاء و الأمراء و الوّلاة و الشعب بالأدب و تشجيعهم الدائم للأدباء، فظهرت فنون جديدة و أغراض كثيرة[1].

لاريب أن الشعر قد ازدهر في عصر بني أمية ازدهارا كبيرا فوصف الشعراء الأمويون البيئات الجديدة، كما قد وصفوا حياة البداوة في العصر الجاهلي.

لقد نبغ الكثير من أعلام الأدباء و الكتّاب و الشعراء في العصر الأموي، أمثال جرير الفرزدق و الأخطل، عمر بن أبي ربيعية.....الخ.

" نشأت أغرض جديدة كالشعر السياسي و الغزل العذري و شعر المدح و الهجاء الفخر الرثاء و الوصف وهذه الأغراض هي أغراض الشعر الجاهلي التي نجدها ممثلة في الشعر الأموي تمثيلا"[2] .

للشاعر الأموي الأخطل قصيدة وصف فيها حزنه الشديد لفراق الأحبة و ذهوله فيشبه نفسه في تلك اللحظة كالسكران أو المسحور،ثم انتقل إلى صاحباته اللاتي

1-خفاجي عبد المنعم، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، دار الكتب للبناني، بيروت، لبنان، 1980، ص 77، 78.

2-المرجع نفسه، ص 86.

ارتجلن و شبههن تشبيها حسنا و ألم بشيء من أخلاق النساء حيث قال:

يَا قَاتِلَ اَللهُ وَصِّلْ اَلْغَنِيَاتَ ذَا

أَيَقَنَّ أَنْكَ مِمَّنْ قَدَّرَهَا اَلْكِبْرُ[1].

و من نماذج الوصف في عصر بني أمية قول أبي النجم في وصف الإبل قائلا:

كُومُ الْذُرَى مِنْ خَوْلِ المُخَوِّلِ

تَبَقَّلَتْ مِنْ أَوَلِ التَبَقُّلِ

بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

يَدْفَعُ عَنْهَا العِزَّ جَهْلُ الجَّهْلْ[2].

" لقد وصف الشعراء الأمويون كل ما وقع تحت بصرهم و كل ما جل في خاطرهم فوصفوا البيئة الصحراوية الجاهلية، فتحدثوا عن الأطلال و توقفوا عند وصف الإبل و استعاروا لتلك الأوصاف معاني الجاهلين ووصفوا الطبيعة الصامتة والمتحركة، كما وصفوا الحيوانات الأليفة منها و غير الأليفة، و تغزلوا بجمال النساء

1-خفاجي عبد المنعم،الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص 193.

2-المرجع نفسه، ص 193 .

فوصفوا الديار و القصور و الحدائق و غير ذلك من الأمور."[1] فقال الفرزدق يصف ذئبا:

وَ أَطْلَسَ عُسَّالٍ وَ مَا كَانَ صَاحَباً

دَعَوْتُ بِنَارِي مُوهُنًا فَأَتَانِي[2].

نستنتج أن الشاعر الأموي مضى على سنة أسلافه و أجداده يستلهم الصحراء، فرغم أن هؤلاء عاشوا في بيئات عصرية إلاّ أن الصحراء ظلت ملهمهم الأول في أشعارهم و هذا راجع إلى أثار البيئة الصحراوية البدوية في نفوس الأمويين.

د-الوصف في العصر العباسي:

إنّ العصر العباسي هو عصر الاندماج بين الشعوب و النضج و التجديد في شتى المجالات، "فالحقبة التي حكم فيها بنو العباس من أبهى العصور و الأيام في تاريخ أمتنا المجيدة، زهت فيها المدينة، ارتفعت الحضارة، سمت العلوم، نمت الآداب و بلغ العطاء الفكري منزلة رفيعة، فكانت الثمرة جنية طيبة غزيرة، فوصل إلينا أسماء العلماء و الأدباء أمثال: المتنبي، أبو نواس... إذ لهم ذخيرة كبرى من الكتب."[3]

1-حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 476.

2-خفاجي عبد المنعم، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص 193.

3- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة النشر،1989،ص5 .

و هذا راجع إلى إحتكاك العقل العربي بمدنيات البلاد، ضف إلى هذا حركة الترجمة التي تحمل إلى العرب تراث الأمم و الشعوب و فتحت وعي العربي إلى التجديد في العلوم[1].

"تقارب الأمم و إختلاطها يؤدي دائما إلى تبادل الآراء و الأفكار و تساعد على تطوير الحياة الفكرية و رقيها و تقدمها، و قد فتحت الدول العباسية منذ أيامها الأولى الأبواب لجميع الأقوام و الأجناس بالاشتراك في عملية تطوير الفكر و تنشيطه، فاستقى العباسيون الثقافة من عدة أوعية كالهندية، الفارسية و اليونانية"[2].

إنّ هذه العوامل المتضافرة هي التي ساعدت على تطور الأدب في العصر العباسي فهو عصر حركة و نشاط و ازدهار في شتى المجالات.

" إنّ الشعراء فنانون مبدعون يرسمون بالكلمات ما يرون، و يصورون ما يشاهدون، و يصفون ما يحسون به، فكثر نتاجهم الشعري في غرض الوصف، فالشعر العربي زاخر بأوصاف كثيرة و متنوعة منها القديمة و منها المبتكرة التي أوجدتها المدنيّة الجديدة فوصفوا المجالس و القصور و ما فيها من فرش و أثاث و ما يحيط بها من

1-ينظر، فاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ص 522.

2- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، ص 10.

حدائق تجري فيها الظباء و الغزلان" مثل : قول أبي عتيبة بن محمد في وصف قصر بالبصرة:

وَ سِرْبٍ مِنَ اَلْغِزْلاَنِ يَرْتَعْنَ حَوْلُهْ

كَمَا أَنْسُلِ مَنْظُومِ مِنَ اَلدُّرِ مَنْ سَلَكْ

فَيَا طَيْبَ ذَاكَ اَلْقَصْرِ قَصْرًا ونُزْهَةٍ

بِأَفِيحَ سَهْلٍ غَيْرَ وَعْرٍ وَ لَا ضَنْكٍ [1] .

كما أن الثمار الموجودة في هذه الحدائق لها النصيب الأوفر من شعر الوصف، فوصف بشار بن برد التفاح قائلا:

وَ تُفَاحَةُ مِنْ خَالِصْ اَلذِّبرِ نِصْفُهَا

وَ مِنْ جُلّنَارِ نِصفُهَا وَ شِقَاقَ [2] .

الشعراء العباسيون اهتموا اهتماما واضحا في تصوير الجانب المادي، من حضارتهم الجديدة، فتعددت فروع موضوعاتهم الوصفية كوصف القصور و مجالس اللهو و المجون و جلّ أنواع الثمار.

1-ينظر، ناظم راشد، الأدب العربي في العصر العباسي، ص 48 .

2-المرجع نفسه، ص 49 .

أقبل الشعراء العباسيون على وصف الطبيعة إقبالا كبيرا، فلم يتركوا شيئا فيها إلا وصفوه، سواءا كان في الأرض أم في السماء ووصفوا جلّ أنواع الزهور و الأشجار، يقول مروان بن أبي حفصه واصفا حديقة وهبها له المهدي ذاكرا نخلها و شجرها:

نَوَاظَرُ غُلْبًا قَدْ تَدَانَتْ رُؤُوسُهَا

مِنَ اَلْنَبْتِ حَتَى مَا يَطِيرُ غَرَابُهَا

تَرَى اَلْبَاسَقَاتُ اَلْعَمُ فَيهَا كَأَنَهَا

ظَعَائِنُ مَضْرُوبِ عَلَيْهَا قِبَابُهَا[1].

بالرغم من هذا التطور المذهل و إقبالهم الشديد لوصف الجانب المادي إلى أن شعراء بنو عباس يحنون إلى القديم ، فألفوا قصائد على نمط القدامى .

الربيع بجمال أزهاره ،و تنوع ألوانه ،واخضرار أشجاره، و طعم ثماره المختلفة، فهو فصل يفوق كل سحر فليس من الغريب أن نجد كثيرا من الشعراء العباسيين يبدعون في وصف هذا الفصل من السنة و يفضلونه على الفصول الأخرى[2].

إذ نجد لأبي تمام قصائد كثيرة في وصف الربيع يقول فيها :

1- ناظم راشد،الأدب العربي في العصر العباسي، ص 48 .

2- ثائر سمير حسن الشمري، لمحات في وصف الربيع في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 8، ص 07.

نُزِلَتْ مُقَدِّمَةُ المَصِيفِ حَمِيدَةً

وَيْد الشِتاءِ جَديَدةُ لَا تُنْكَرُ

ومَا كَانَتْ الأيَامُ تَسْلَبُ بَهْجةَ

لَوْ كَانَ حُسْنُ الَروْضِ كَانَ يَعْمُرَ.[1]

"إنّ جمال الألوان التي تكسوا الطبيعة هو سبب إغراء الشعراء في وصفه ، فنقلوه بكل إحساس و صدق. شارك الشعراء مشاركة كبيرة في وصف الخمرة و أدواتها وسقياها و مجالسها"، على نحو ما قاله أبو نواس:

فَالْخَمْرُ يَاقُوتَـةٌ وَ اَلْكَأْسُ لُؤْلـؤَةٌ

مِنْ كَفِ لُؤْلـؤَةٌ مَمْشُوقَةِ اَلْقَـدِ

تَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهَا خَمْرًا وَ مِنْ يَدِهَا

خَمْرًا فَمَالُكَ مِنْ سَكْرِينَ مِنْ بُدِّ[2].

وصف بنو عباس المعارك و الحروب حيث نجد بشار بن برد صور معركة حاسمة ثار فيها الغبار و لمعت فيها السيوف حتى خيل إليه أنها نجوم تتساقط في الليل:

1-البحتري، الديوان، دار الكتب العربي، لبنان، 1994، ص 297.

2-أبو نواس، الديوان، ص 149.

كَأَنَ مَثَارَ اَلْنَفْعِ فَوْق رُؤُوسِنَا

وَ أَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوِي كَوَاكِبُه[1] .

أدباء هذا العصر أبدعوا في وصف جلّ مظاهر الحياة المختلفة لذا كان الأدب العباسي واسع و كبير.

4-الوصف في العصر الحديث:

يعد الوصف من أهم الأغراض في الشعر العربي، لذا قد أقبل عليه شعراء العصر الحديث إقبالا شديدا أكثر من إقبالهم على أيّ غرض أخر، فوصفوا كل ما وقع عليه حسهم وجل ما تراه أعينهم.

لا شك أنه لم يقدر للشعر العربي انطلاقة حية إلا في مطلع هذا القرن خاصة مع نخبة من الشعراء أمثال: أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، خليل مطران، بدر شاكر السياب ... إلخ[2]. فوصفوا الطبيعة وما فيها من أشجار وبحار وأنهار، كما وصفوا كلّ مظهر من مظاهر القبح والجمال.

1-ينظر، ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، ص51.

2-إليا الحاوي، الصورة بين الشعر القديم و الشعر الحديث، مجلة الأدب، فيبراير، 1966، ص 57.

من بين هذه الأعلام نجد بدر شاكر السياب يصف عرسا في القرية قائلا :

مِثْلُمَا تَنْفَضْ اَلْرِيحُ ذَاتَ اَلَنِضَارِ

عَنْ جَنَاحِ اَلْفَرَاشَةِ مَاتَ اَلْنَهَارِ

فَاحْصُدُوا يَا رِفَاقِي

إِنَهَا لَيْلَةُ عُرْسِ بَعْدَ إِنْتِظَارِ[1] .

الشاعر المعاصر تأثر بمستجدات العصر، فجعل حياته عبارة عن صورة فوتوغرافية لأحواله السائدة، وهذه الصور نقلها بدقة وإحساس نابع من نفسه.

وصف الشعراء المعاصرون الطبيعة بفصولها، وركزوا على وصف فصل الربيع بجمال ألوانه الزاهية واعتبروه رمز للخصوبة والعطاء نحو قول أحمد شوقي:

أَذَارُ أَقْبِلِ قُـمْ بِنـَا يَا صَـاحِ

حَيِّ اَلَرَبِيعَ حَدَيقَةَ اَلأَرْوَاحِ

وَاجْمَعْ نَدَامَى اَلْظَرْفِ تَحْتَ لِوَائِهِ

وَانْشُرْ بَسَاحَتِهِ بَسَاطَ اَلْرَاحَ.

1-إليا الحاوي، الصورة بين الشعر القديم و الشعر الحديث، ص 57.

وَاجْلِسْ بِضَاحِكَةِ اَلْرِيَاضِ مُصَفِقًا

لِتَجَاوبِ الْأَوْتَارِ وَالْأَقْدَاحِ[1].

ونجده في كذا موضع واصفا البحر في قصيدته الهمزية يقول فيها:

هَمَّتْ اَلْفُلْك وَ احْتَوَاهَا الْمَاءُ

وَحْدَاهَا بِمَنْ تَقِلُّ الْرَجَاءُ

ضَربُ الْبَحْرُ ذُو الْعُبَابِ حَوَالِي

هاَ سَمَاءً قَدْ أَكْبَرَتْهَا السَمَاءُ

وَ جَبَالاً مَوَائَجَا فِي جِبَالِ

تَتَدَجَى كَأَنَهَا الْظُلُمَاءُ.[2]

في ديوان شوقي قصيدة يصف فيها مدينة جنيف السويسرية الشهيرة، و قد زارها عندما سافر ليمثل مصر في مؤتمر المستشرقين، فألقى فيها همزتيه الكبرى تتجلى في 78 بيت يقول فيها:

لاَ الْسُهْدُ يُدْنِنِي إِلَيْهِ وَ لاَ الْكَرَى

طَيْفُ يَزُورُ بِفَضْلِهِ مَهْمَا سَرَى.

1-ماجد مصطفى، في الأدب العربي الحديث و المعاصر، دار الفكر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، ص

2-أحمد شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة،دار العودة،بيروت،1998،م1،ص17.

تَخِذُ الدَّجَى وَ سَمَاءُهُ وَ نُجُومَهُ

سُبُلاَ إِلَى جَفْنِيكَ لَمْ يَرْضَى الْثَرَى

حَيْثُ الْجِبَالَ صِغَارُهَا وَ كِبَارُهَا

مِنْ كُلِّ أَبْيَضِ فِي الْفَضَاءِ أَخْضَرًا.[1]

نستنتج أن الوصف في العصر الحديث ارتبط ارتباطا وثيقًا بتطور مظاهر الحياة وتطور الثقافات و المعارف هذا ما ساعد الشاعر العربي الحديث على تنمية قوة خياله، فأبدع في الوصف.

3- تقنيّات الوصف:

يتعين و يتوجب على الواصف مراعاة عدد من التقنيّات أثناء وصفه، أين تزوده بقواعد واضحة تمكنه حتما من وصف الإنسان في مظهره الخارجي بما فيه وصف الوجه و العينين و الفم و العنق و القامة ووصف الثياب التي يرتدها.....إلخ،ضف إلى هذا وصفه الداخلي من حيث مشاعره و ميوله و عواطفه و مستوى ذكاءه و أخلاقه.

1-ماجد مصطفى،في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص،92.

كمّا أن هذه التقنيّات تبرز كيفية وصف الأحداث ووصف الأمكنة برمتها بدءا من الغرفة وإنتهاءا بالمدينة مرورا بالدار و الأماكن العامة.

I- تقنيّات وصف الكائنات الحية:

1- وصف الإنسان:

" الإنسان مظهر و مخبر، جسم و عقل ووجدان، فالجسم هو المظهر الخارجي أما العقل الوجدان باطنه الداخلي، هو كتلة لا تتجزأ، و لا يمكن فصل شخصية إلى شقين، فوصفه يشمل الجانبين معا، لكن لأسباب دراسية محضة، قسم الوصف إلى قسمين خارجي و داخلي ليسهل فقط على المتعلم وصف كل منهما على حدّة ثم الربط بينهما محتوم عند وصف الشخصية كاملة".[1]

"إنّ وصف الإنسان يتطلب جلّ مصادر المعرفة و هذا لرصد المظاهر العامة وخصوصياته بجلّ جزئياته و حركاته لكن المسألة لم تتوقف عند هذا الحدّ بل هي مرتبطة بجوانب أخرى كالشعور، الفكر، الطباع، الحياة الاجتماعية".[2]

1- عبد المالك خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، الباب الثاني، الوصف الخارجي للأشخاص، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1998، ص 01.

2- محمد أولحاج، ديداكتيك التعبير،تقنيات ومناهج، دار الثقافة،2001،ص،111

و لوصف شخص ما لابد أنّ نتطرق إلى العناصر التالية:

أ/ لابد من مقدمة تعرفه بهويته و بصفته العامة منها: الاسم، الكنية، السّن، مكان إقامته.

ب/ وصف هيئته الجسدية: **أي** مظهره العام، فهنا لابّد البحث عن صيغ تميز مظهره العام كصورته من حيث الشكل، اللّون و مميزات أخرى.

و لتحديد هذه الأوصاف يتم التركيز على ما يتميز به الشخص عن غيره و يمكن أن نحصرها في الجدول الأتي:[1]

مظهره العام	أبعاده الجسدية	ملامح الوجه	الهيئة و النظرة
شيخ، شاب، قوي البنية، ضعيف البنية، جميل، قبيح، ضخم، .....إلخ.	الطول، القصر، وقوفه (مستقيم، منحني)،حجمه، أطرافه، عنقه.	شكله العام، شعره، جبهته، عيناه، أسنانه، خاصة الشكل و اللون.	تصوير المشاعر التي يثرها المظهر العام للشخص.[1]

1- محمد أولحاج، ديداكتك التعبير و تقنيات و مناهج، ، 112.

إنّ هذه الأمور الأربعة المذكورة من أهم قواعد الوصف، إذ هي التي تبرز أهم صفات الشخصية و مميزاتها الخاصة.

ج/ اللباس: يضاف أحيانا إلى الوصف الجسدي بأنواعه المختلفة (لباس عمل، لباس رياضة، لباس صيفي، لباس شتوي) مع ذكر لونه (ناصح، شاحب) و عدد القطع التي تشكل منها وحداته (لباس جديد، لباس رث، لباس متسخ، نضيف.....) ضف إلى هذا تفاصيله الزخرفية كربطة العنق، منديل.....).

د/ السلوك و الطبائع: هذه التقنيّة لابد أن تأخذ في الغالب بأخذ نظرة عن ذكائه و ما يتعلق بمظاهره الخارجية و من بين هذه السلوكيات نجد: إنه هادئ أو عصبي المزاج، متهاون في أمر، متأنق، ذكي، غبي، مجتهد، كسول..... و من بين العلامات التي يمكن أن نميز بها الطابع و السلوك نجد :

2/ <u>انتقاء التفاصيل</u>:

" في بعض الحالات لابّد من الوقوف عند بعض التفاصيل و الجزيئات الهامة (كوصف الوجه مثلا)، لكن كثرة التفاصيل تكون في الغالب غير مستحبة، لذا على الواصف أن ينتقي أهمها ذو دلالات أكثر".[1]

1- محمد أولحاج، ديداكتك التعبير، ص116.

نستنتج أنّ هذه التفاصيل مهمة في عملية الوصف لكن طغيانها و كثرتها تسبب مللاً للقارئ، لذا يجب انتقاء أهمها فقط.

3/ <u>التعبير عن المشاعر</u> :

إنّ أيّ عمل أدبي ليس مجرد أشخاص يتحركون و أحداث تحدث في أزمنة و أمكنة محددة بل هم نبضات قلوب و ومضات أحلام تحمل مشاعر و عواطف مختلفة، فالإنسان أكثر الكائنات إحساسا و انفعالا كاللذة، الرغبة، الخوف، الغضب، الألم، الحب، الكره إلى غيرها من مشاعر تصوّر حالاتها النفسية من حين لآخر، "و ما يميز هذه الحالات عن الحيوان أنها مصحوبة بالوعي ، فالإنسان حتما على دراية بطبيعة شعوره، كما يعرف أسبابه و حتى يتهيأ لعواقبه".[1]

إذن المشاعر و الأحاسيس ما هي إلا انعكاس لصوّر الأحداث حيث يواجه الإنسان ما يفرحه و ما يحزنه و يأتي هذا على شكل انفعالات مصوّرة حالته النفسية.

¶/ تقنيات وصف الأشياء و الأمكنة:

"ترتبط الأماكن بالناس إرتباطا وثيقا، فهي الإطار الذي نراهم من خلاله يعيشون و يعملون

1- عبد الملك خمار،فن الكتابة،تقنيّات الوصف،الفصل الثالث،وصف المشاعر،ص ،1.

ويتحركون في بيوت و قصور، و يصلون في المساجد، و يأكلون في المطاعم، يسمرون في المقاهي، و من البيوت و الأسواق تتشكل الأحياء ثم تشيّد القرى و المدن".[1]

لوصف الأشياء و الأمكنة لابدّ على الواصف أن يراعي هذه التقنيّات:

1- تـعيـن و تـمـيـز إضـاءة الأشـيـاء و ألـوانـهـا:

إنّ الأضواء التي تنير الأشياء و الأمكنة، و هذه الأضواء قد تكون ساطعة أو ناصعة أو خافتة (ضوء غامض، داكن، قاتم.....)، كما أنها تعطينا في عملية الوصف صوّرا معينة للأنوار و الظلال فتتشكل مع الظل بطرائق مختلفة، لكن يجب أن تتوفر عدّة إمكانيات منها:

أ/" أسماء ألوان طيف الشمس (مجموعة الأشعة الملونة الناتجة عن تحليل ضوء الشمس.

ب/الأسماء التقنيّة للألوان المخترعة من طرف الرسامين.

ج/المقارنات و هي عبارة عن تعابير أصبحت متداولة في الوصف مثل: زرقة السماء، حمرة الدّم.

1-عبد الملك خمار،فن الكتابة،تقنيّات الوصف،الفصل الأول،وصف الأماكن،ص1.

أجلى من الشمس، مائل إلى :..د/تسجيل كثافة الألوان بواسطة تعابير خاصة مثل الزرقة....."[1]

إنّ هذه الأضواء سبب بهاء الأشياء و الأمكنة، فتعطيها رونقا جماليا رائعا.

2/ تعين و تميز حركة الأشياء و أصواتها:

ليس الكائنات البشرية و الحيوانية وحدّها التي تتحرك، فحينما نصف مثلا: البحر و الأشجار أثناء هبوب الرياح، أو وصف طائرة تهم بالرحيل نصف حركاتها و اتجاهاتها بدقة (فوق، تحت، شمال، جنوب...).

كما أنّ "معظم معلوماتنا التي نكتسبها عن الأشياء و الأماكن تكون حتما بواسطة الرؤية" (النظر).[2]

إذن من أهم تقنيات وصف الأشياء و الأمكنة نجد تقنيّة الضوء نظرا لأهميته القصوى، فمثلا نتصوّر أنفسنا في نفق مظلم أو في بئر مظلم، ففي هذه الحالة لتأخذ فكرة وصف الشئ بالرؤية إلاّ إذا تطرقوا إلى حواس أخرى، كاللمس و الشم .

1- عبد المالك خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، الفصل الثالث، وصف المشاعر، ص1.

2-المرجع نفسه،ص ،109.

الفصل الثاني : تقنيّات الوصف ووظائفه في رواية خان الخليلي.

المبحث الأول :

1/ تعريف الشخصية.

2/في وصف الشخصيات.

3/ تقنية الوصف في الرواية.

المبحث الثاني :

1/ تعريف المكان.

2/ في وصف الأماكن.

3/ تقنيّة الوصف

المبحث الثالث :وظائف الوصف؟

1/ تعريف الشخصية:

لغة:

عرفها ابن منظور في لسان العرب فقال: "الشّخص جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص".[1]

أمّا في كتاب العين فقد ذكر الشخص: "سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه وجمعه الشخوص والأشخاص والشخيص: العظيم الشخص".[2]

اصطلاحا:

"تعد الشخصية عنصرا بالغ الأهمية في كل عمل سردي، فهي تقع في صميم الوجود الروائي في حد ذاته، إذ لا وجود لرواية ما دون شخصيات تقود الأحداث وتنظم الأفعال".[3]

كما قد عرفها باختين على أنها "تمثل رؤية للعالم ولذاتها وليس المهم عنده ما تمثله الشخصية في العالم بقدر ما يمثله العالم للشخصية".[4]

1-ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ط1، (مادة شخص) ص 39.

2-خليل بن أحمد الفارهيدي، كتاب العين، سلسلة المعاجم و الفهارس، ص 165.

3- عبد الرحمان الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك دراسة دلالية الإسكندرية، 2012، ط1، ص 89.

4- المرجع نفسه، ص 90.

إذن الشخصية هي عبارة عن محرك الأحداث في أي عمل أدبي، سواء كان قصة أم رواية... ، فلا يمكن أن نتصوّر رواية بدون شخصيات تقود الأحداث و تطورها و هذا راجع إلى أهميتها القصوى في سير أحداث الرواية.

2/ في وصف الشخصية:

في رواية خان الخليلي، احتلت الشخصية مكانة مرموقة، فلقد ساهمت في تطوير أحداثها أين ركزّ الروائي نجيب محفوظ على الأسلوب الوصفي ليبرز ملامح الشخصية بأنواعها،مع إبراز جوانبها الجمالية، فتنوع الوصف فيها من شخصية إلى أخرى." فهي شخصيات نابضة بالحياة مصورة بشكل فني دقيق".[1]

لقد تعددت الشخصيات في الرواية فسلّط الضوء بكثرة على شخصية (أحمد عاكف ونوال و رشدي)، باعتبارهم شخصيات رئيسية تتمحور حولها الأحداث بكثرة، كما لم يغفل نجيب محفوظ عن وصف الشخصيات الثانوية، كالست دوليت، عاكف أفندي، كمال خليل، الست توحيدة، المعلم نونو...)، فهذه شخصيات قد ساعدت أيضا في تحريك أحداث الرواية، فرسم ملامحها الخارجية لإعلام القارئ أو إثارة انطباعه، و يختلف هذا حتما باختلاف الشخصية.

1-علي عبد الرحمن فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كليلة الأدب، جامعة صلاح الدين، العدد 152، ص 33.

✓ أحمد عاكف:

الشخصية الرئسية و هو أكثر الشخصيات حضورا في الرواية، إذ أنه يمثل الرواية بأكملها – إنّ صح القول– هو بالدرجة الثامنة في وزارة الأشغال المصرية، يبلغ من العمر أربعين عاما و لا يزال أعزب، يقطن مع والده و والدته، بحي السكاكيني، عان كثيرا في حياته ، فالفشل كان من نصيبه.

صوّر نجيب محفوظ ملامح وجهه تصويرا دقيقا و يمكن أن نمثل ذلك بقوله: "هو كهل يدنو في ختام الأربعين... ، له وجه نحيل، مستطيل، شاحب اللّون، ذو رأس صغير مستطيل، ينحدر انحدار خفيفا إلى جبهة تميل إلى الضيق، يحدها حاجبان مستقيمان خفيفان متباعدان، يتوسطه أنف رقيق و فم رقيق الشفتين و ذقن صغير مدبب ".[1]

كما تربطه علاقة حب من طرف واحد، فتعلق بابنة جاره " نوال "، فشغف قلبه حبًا وهيامًا منذ أول نظرة، لكنه يكتفي فقط بتبادل تحية صامتة معها و يتردد كثيرا و هو في الأربعين من عمره.

اختلفت أوصاف الشخصية المحورية من مقطع إلى أخر و هذا راجع إلى اختلاف الأحداث

1–نجيب محفوظ، خان الخليلي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط 6، ص 07 .

و المواقف و اللحظات في الرواية و حتى الحالات الشعورية، يقول الروائي:" اضطراب ملابسه اضطرابا يستدر الرثاء، و الواقع أن تكسر بنطلونه و إنحسار ذراعي الجاكتة عن رسغيه و تلبد العرق و الغبار على حرف طربوشه و تقبض القميص و رثاثة رباط الرقبة، كان شاحب اللّون...".[1]

ويقول في موضع أخر: " نهض نشيطا إلى المرآة ليحلق ذقنه، و كان يحلقها عادة مرتين في الأسبوع، و لا يبالي أن يبدو للناس و ذقنه نابتة، فعزم على الإقلاع عن عادته هذه وأنّ يحلق ذقنه يوميا، ارتدى جلباباً نظيفاً و طاقية ناصعة البياض مجبرا ليخفي صلعته البيضاوية... ثم جلس على حافة الفراش يرمق النافذة بعينين مترددين".[2]

بناءا على هذه المقتطفات نستنتج أن المظهر الخارجي للإنسان ما هو إلا مرآة عاكسة لحالته النفسية، فهدف الروائي ها هنا ليس إظهار الملامح الخارجية لأحمد عاكف بل العكس إذ يريد أن ينقل لنا الشعور الذي تعيشه الشخصية في لحظة ما من لحظات حياتها ،ففي المثال الأول يبرز لنا الحالة النفسية المزرية لأحمد ويتضح ذلك جليا في ملابسه البالية و ملامحه المحزنة، أما في المثال الثاني كانت حاله أحمد هنا حالة مستقرة نوعا ما،

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 06.

2-المصدر نفسه، ص 93 .

فيها نوع من التفاؤل مصمما على الخروج عن حالته المزرية، و لربما نجم هذا عن حبه العميق لنوال، فبث فيه روح التفاؤل بغد أفضل.

كان أحمد عاكف ضحية المجتمع، فهذا الأخير لم يمنحه فرصة ليظهر عبقريته و ضحية المرأة و خداعها و مكرها، و هذا ما جعله عازبًا حتى وصل سن الكهولة.

✓ نــوال :

نوال رمز للخصوبة، فتاة يهودية في أولى سن شبابها لا تتجاوز الستة عشر عاما، بنت كمال أفندي و الست توحيدة، كانت تزاول دراستها الثانوية بشكل ناجح، تمتاز بوجه أسمر جميل و أجمل ما في وجهها عيناها النجلاوين، فورد و صفها في كذا موضع،فيقول الكاتب أن لها :"عينان نجلاوان ذات مقلتين صافيتين عسليتين ذوات الصفاء و السذاجة و الخفة".[1]

"نوال سمراء البشرة و كثيرا ما تقول أمها أن السمرة روح الجمال و مصدر الخفة" .[2]

وقعت في حب رشدي أخ أحمد عاكف، فتألمت و عانت كثيرا في حياتها.

1–نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 35.

2–المصدر نفسه، ص 138.

✓ **رشــدي :**

شخصية مفعمة بالحماس، هو ذلك الشاب الجذاب يعرف الطريقة المثلى لمغازلة البنات، عكس أخيه الكهل الخجول الجبان الذي لا يقدر حتى على مكالمتهنّ، يبلغ من العمر ستة وعشرون عاما، تحصل على بكاريوس التجارة، يعمل محاسبا بإحدى البنوك المصرية بأسيوط ،كان رشدي شابا مستهترًا، عابثاً في أغلب الأوقات دائم السهر في الكازينو رفقة أصحابه،إنتقل من أسيوط إلى عائلته التي تقطن في خان الخليلي، أين تعرف على جارته " نوال " فأعجب بها و سار ورائها و تتبع أخبارها بكلّ اهتمام، و هو ليس على دراية أنها حبيبة أخيه الأكبر، فعندما أدرك أحمد الحقيقة قررّ الاستسلام و ترك حبه الوحيد لأخيه رشدي، أراد رشدي بناء حياته مع نوال لكن استهتاره بصحته و مداولته على السهر و القمار و شرب الخمر أدى إلى إصابته بمرض خبيث ألا و هو السل، فانقلبت حال الأسرة المتواضعة رأسا على عقب، عان رشدي كثيرا في مرضه، أين أجاد نجيب محفوظ في تصوير هذه الشخصية خلال مدّة مرضه فيقول:" كان رشدي راقدا، فقد شعر بحضورهم و لم يحرك ساكنا إلا ابتسامة خفيفة باهتة ارتسمت على شفتيه الذابلتين و هو فاقد الأمل و فاقد الشهية فانقلبت حياته غماً وجزعاَ".[1]

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص،326.

ويقول في موضع ثاني: " يؤسفني أن أحزنك لكنها الحقيقة المرّة و لا حيلة لي فيها، فاستحلفك بالله يا أخي إلا ما وقفت على عودتي إليكم لأقضي بينكم أيامي الأخيرة حتى يوافني الأجل"[1].

إشتد مرض رشدي كثيرا، هذا ما جعل الروائي يقدم لنا أوصاف كثيرة لهذه الشخصية يقول فيها: "تعاقبت عليه نوبات هذا السعال و اجتاحته بعنف فما أن سكتت عنه واحدة إلا و قد أشقى نفسه على الانقطاع، و أنذرت عروق عنقه بالانفجار، و سالت عيناه دما، فظن به الهلاك و أيست من شفائه القلوب، فهو في حالة من الضعف و الإعياء، فلا يمكنه مفارقة الفراش بتاتًا و هزل هزلاً شديدًا.[2]

ساند أحمد عاكف آخاه مدة مرضه ،فكانت صلته بأخيه صلة قوية متينة، و استمرت هذه العلاقة حتى آخر الرواية، أين مات رشدي.

✓ الست دوليت (أم أحمد عاكف):

نموذج الأم المثالية اتجاه عائلتها، تبلغ من العمر الخامسة و الخمسون، تمتاز بخفة الروح و الدعابة اللطيفة، فهي التي تغير جوّ الصمت القاتل بمزاجها اللطيف و كثرة صويحاتها

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 236.

2-المصدر نفسه،ص،237.

و نشاطها الدائم، فكانت لا تستهين أبدا بسعادة عائلتها.

الست دوليت رمز للشجاعة و الصمود، رغم معاناتها في أيام الحرب و معاناتها لمرض ابنها إلا أنها لم تستسلم بل على العكس كانت قوية صامدة صمود الجبل ،وصف الروائي مظهرها الخارجي بقوله: "فقد شارفت الخامسة و الخمسين على وسامة وولع بالصبغ والألوان وذوق في الأزياء ومازالت لحيمة جسيمة مشهورة بالدعابة اللطيفة و النادرة الحلوة.[1]

هذه الشخصية بمرحها و نشاطها الدائم تغلبت على حزن عائلتها، فتعد مثالا أعلى و قدوة حسنة لجّل أنواع الصبر، فكانت دائما تردد التركيبة التعبيرية التالية: "لي نكتب على الجبين لازم تشوفه العين. "[2]

✓ عـاكـف أفـنـدي (أب أحـمـد):

رجل مسن يبلغ من العمر الستين عاما، طويل القامة، نحيف البنية يقول عنه الروائي: "عاكف أفندي أحمد طويلا نحيفا ،ذا لحية بيضاء، و قد وضع على عينيه عوينات غليظة".[3]

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص، 26.

2-المصدر نفسه ، ص،27.

3-المصدر نفسه،ص ، 10.

هذه شخصية عانت جلّ أنواع الشقاء و الفقر، فكانت أقسى أيام حياته و ألمها تلك التي أعقبت إحالته على المعاش، فانقطع مورد رزقه فعانت الأسرة البائسة، و هذا ما جعله ينزوى بعيدا عن الناس و الدنيا و ما فيها، قابعا جلّ أوقاته في غرفته أين إختار العبادة ملاذا وسكنا له، تاركا آلام الماضي، فأصبح رجلا متدينا متماسكا بدينه، راضيا بقضاء الله و قدره، فيقول السارد : "كرّس حياته للعبادة و تلاوة القرآن و لم يكن يفارق البيت إلا فترات متباعدة لزيارة الأضرحة".[1]

ربط نجيب محفوظ صفة النحول في الكثير من المواضيع بالحالة النفسية ،وهذا ليؤكد أنّ الملامح الخارجية ماهي إلا انعكاسا لباطن الإنسان، و هذا ما نراه في الحالة النفسية المزرية لعاكف أفندي.

✓ كمـال خـلـيـل (أب نـوال):

رجل رزين و يتضح هذا من خلال عينيه، فالعيون هي بمثابة نافذة نستطيع أن نرى ما بداخل الإنسان، أبٌ لثلاثة أبناء بنتين و ولدّ، أحفل القوم استقبالا للجار الجديد أحب جاره رشدي حبًّا صادقًا، فلطالما رآه نموذج الصهر الجيّد، تألم كثيرا عندما أدرك حقيقة مرضه.

1_نجيب محفوظ خان الخليلي ،ص25.

صوّر نجيب محفوظ كمال خليل قائلا: " خليل كثير العناية بهندامه و أناقته، معتدل القامة، يميل إلى البدانة. "[1]

لقد أضفى اللباس رونقا باهيا لهذه الشخصية، لشدّة اهتمامه بأناقته، فاللباس هو أول ما يلفت انتباه القارئ قبل التعرف على الشخصية، لذا يعد أهم جانب من الجوانب التي تحدد قيمة الشخصية.

✓ الســت تــوحيــدة (أم نــوال):

امرأة قوية، نموذج للأم القاسية، عندما أدركت مرض رشدي أعمى الظلم بصّرها فحرضت زوجها كمال خليل لقطع علاقة نوال برشدي، فمنعوها من زيارته، خوفا من إنتقال العدوى إليها، لم ترأف و لو للحظة بمشاعر ابنتها و لم تواسيها في محنتها بل العكس كانت قاسية معها مصممة على قطع صلتها برشدي المريض يقول الروائي على لسانها : "لا أظن رشدي بناجٍ من مرضه الخطير، و حتى لو كتب الله له النجاة فلن يصلح الزوجية...، أرى أن أصون صحة ابنتي فتتعرض لعدوى مرض خبيث ندرت النجاة منه".[2]

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص،231.

2-المصدر نفسه، ص،231.

انقلبت حياة نوال و تحطمت جلّ أحلامها و آمالها، فدخلت في حزن شديد و مزقها الخوف و الحزن إربًا إرباً، رغم هذه الحالة التي سايرت نوال يوميا لم تحن عليها أمها بتفكيرها الخاطئ، لربما صحيح كانت خائفة على ابنتها لكن طريقتها طريقة قاسية، و هذا أمر غير طبيعي لأننا نادر ما نجد أمّ قاسية على أبناءها بمثل هذه الطريقة. فالأمّ كما هو معروف رمز لجّل أنواع العطف و الحبّ و الحنان.

✓ المـعلم نـونـو:

رجل في الخمسين من عمره، ربع القامة، متين البُنيان، كبير الوجه و الرأس، يمتاز بفم واسع و شفتين ممتلئتين، كان يحسن إلى جيرانه، فهو أول من التقى به أحمد عاكف عند وصوله إلى مسكنه الجديد، أرشده إلى مبناه، عرفه إلى أهل الحيّ، فكان نعم الجارّ المحسن لجيرانه، لقبه الروائي ب " ملعون أبو الدنيا ".[1]

✓ سلـيمـان عـتـة:

مفتش بالتعليم الإبتدائي، في الخمسين من عمره أو يزيد، قبيح الوجه، صوّره الروائي في موضع واحد قائلا: " قبيح الوجه لحد الازدراء، يذكرك وجهه بالقرد في إنحدار جبهته و بروز

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص ،55.

وجنتيه، و استدارة عينيه و صغرها و كبر فكيه و فطس أنفه إلا أنه حرمّ من خفة القرد و نشاطه، فبدا وجهه ثقيلا جامدا متجهما ".[1]

✓ السيد أفندي عارف :

هو موظف بالمساحة أيضا، كهل في الأربعين على وجه التقريب، وصفه على النحو الأتي : "صغير الحجم، رقيق الأعضاء، لبشرة وجهه نعومة و في نظرة عينيه براءة".[2]

✓ أحـمـد راشـد:

شاب في ريعان الشباب، متعلم و مثقف، يزاول مهنة المحاماة، ذكر في موضع واحد: "شاب مستدير الوجه ممتلئه، كبير الرأس، تكاد تخفي صفحة وجهه نظارة سوداء عميقة السواد ، تخفي عينه اليسرى الزجاجية".[3]

إنّ نجيب محفوظ وصف هذه الشخصيات بروح واقعية فركز على ملامحها و طولها و عمرها و ملابسها، إذ تساعد القارئ على التعرف عليها بطريقة سهلة.

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص ،51.

2-المصدر نفسه ،ص ،52.

3-المصدر نفسه ،ص ،64.

3- تـقـنـيّـة الوصـف في الـروايـة:

أ/- تـقـنـيـّة الـوصـف الخـارجـي:

إعتمد الروائي على جملة من التقنيّات الخاصة بالوصف في رواية خان الخليلي ونذكر منها:

✓ الـوجـه:

" مرآة النفس الإنسانية، و المعبر عما يختلج فيها من فرح و حزن و قلق و خجل وغضب و حسد،...تجذبنا طيبته و جماله و تنفرنا قساوته و تجهمه، و كثيرا ما نحكم عن الإنسان من خلال وجهه حكما صائبا ".[1]

نجد في رواية خان الخليلي وصفا لعّدة وجوه، منها: وجه شخصية أحمد عاكف فيقول: " فوجهه نحيل مستطيل، شاحب اللّون، ذو رأس ينحدر انحدارا دقيقا إلى جبهة تميل إلى الضيق، يحدّها حاجبان مستقيمان خفيفان متباعدان..." [2] .

وصف نجيب محفوظ وجه أحمد عاكف وصفا دقيقا.

1-عبد الله خمار، فن الكتابة، تقنيّات الوصف، الباب الثاني، الوصف الخارجي للأشخاص، ص 01.

2-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 07.

✓ العـيـنـان:

"أهم ملامح الوجه، و كمّا أنهما نافدتا الإنسان للاتصال بالعالمين الخارجي والداخلي، و هما أكثر أجزاء الوجه تعبيرا ،لذلك يركز على وصفها الروائيون فيصفون عن طريقها الحبّ و الكره و الخوف و الرجاء و القلق، و لا يكتفي الروائي بوصف لون العينين و ضيقهما و إتساعهما. بل يبعث في وصفه الحياة بإظهار ما تنطوي عليهما أسرار ،[1]. يقول السارد: " و لم يكن رأى من وجهها سوى عينيها، استقرت عليهما عيناه لحظة حين إلتفاته إليها، عينان نجلاوان ، ذواتا مقلتين صافيتين وحدقتين عسليتين بدتا لغزارة أهدابهما مكحلتين، تقطران خفة و جاذبية "[2] .

ركز الروائي في هذا المقطع عن الجمال الخارجي لعيني نوال، فوصفهما وصفا دقيقا مبرزا جمالها و روعتها.

✓ الـقامــة:

" يركز الروائيون على القامة أو القوام أو القدْ بوجه عام، و قليل ما ينظرون إلى التفاصيل الأخرى كالكتفين أو الصّدر، وإذا كان الموصوف يتميز بالطول أو القصر

1-ينظر، عبد الله خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، ص 03.

2-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص34،35.

أظهروه و أبرزوه، أو ما يتصف بالبدانة و السمنة أو النحول و الهزال لفتوا النظر إلى ذلك "[1]، فيقول الروائي : " كثير العناية بهندامه و أناقته، معتدل القامة يميل إلى البدانة "[2].

و يقول في موضع آخر: " عاكف أفندي أحمد كابنه، طويلا و نحيفا " [3].

✓ العمر:

"العمر أو السن جزء من وصف الشخصية فيحدده أو يورده بالتقريب، أو يذكر بأنّ صاحبه يبدوا أقّل سنا أو أكبر سنا من مظهره لعوامل يذكرها أو تفهمها من أحداث الرواية " [4].

و من المقاطع التي تتجلى فيها هذه التقنيّة نجد: قول الروائي " إبتسمت المرأة إبتسامة طفيفة دلّت على بلوغها الخامسة و الخمسين "[5].

1-عبد الله خمار، في الكتابة، تقنيات الوصف، ص 13.

2-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 51.

3-المصدر نفسه، ص 06.

4-عبد الله خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، ص 15.

5-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 10.

و يقول أيضا: " كان يدنو في ختام الأربعين "[1]

نجده في موضع آخر يقول: " و المدعو السيد عارف كهل في مثل سنه على وجه التقريب "[2].

إذا أمعنا النظر في هذه المقاطع نستنتج أنّ نجيب محفوظ ركز على تقنيّة العمر تركيزا بالغا، كمّا قد حدّد أعمار الشخصيات بالتقريب.

ب/ تقنيّة الوصف الداخلي:

✓ العواطف و المشاعر:

إنّ المظهر الظاهري للإنسان لا يعبر عنه، و لا ينبئنا بمكنوناته المتمثلة في مزاجه و طباعه و أخلاقه و مشاعره و عواطفه إلا في حالة دراسة حالته النفسية، فتجده تارة فرحا مسرورا و تارة أخرى حزينا مهموما قلقا، فالإنسان هو أكثر الكائنات إحساسا وانفعالا، لذا تعد العواطف جانبا هاما في البعد الانفعالي الوجداني للشخصية.

ركز نجيب محفوظ في روايته على المظهر الباطني للإنسان، فعبر عن عواطف

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 6.

2- المصدر نفسه، ص 51.

ومشاعر الشخصيات، و هذا حسب تغير حالتهم النفسية.

من بين هذه الشخصيات نجد شخصية أحمد عاكف القلقة دائما، فيمكن القول أنّ القلق و اليأس لا يفارقه أبدا، فيقول الكاتب على لسان أحمد عاكف: " أليس الموت مع السلامة خيرا من حياة القلق و العذاب[1].

كما يصف الروائي حالته المضطربة قائلا: " أترى كانت موجودة حين فتحت النافذة أم غابت بعد ذلك فهذا رجاء غاب و تعب ضاع فغلبه الإرتباك و القلق...."[2]

و في مقطع آخر يعبر عن حزن و تعاسة نوال لمرض رشدي، فصّور عواطفها ومشاعرها قائلا: " تجهم وجهها الباكي و شعرت برعدة تسري في أطرافها، ثم أحست بتعاسةً و قنوطاً و حزنًا و خوفًا، و مزقتها الحيرة إربًا إربَا بين حبيبها وصحتها وسعادتها "[3].

✓ **<u>الـذكـاء</u>:**

من بين المظاهر الباطنية الواردة في الرواية نجد الذكاء، هو مظهر عقلي الإنسان، فإن قدرته على التفكير و التخيل فطرية فيه، و له أثر كبير في نجاح

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 10.

2-المصدر نفسه، ص،93.

3-المصدر نفسه،ص،235.

الإنسان في علاقاته و حياته المهنية .[1]

يقول السارد: " فلا هي إلا الطيش و الرعونة، و لا من حدّة الذكاء و برعاية تستمد، و هي سمراء و كثيرا ما تقول أمها أن السمرة روح الجمال و مصدّر الخفة "[2]

الــثــقـافة:

الثقافة نسيج كلي من الأفكار و المعتقدات و التقاليد في مجتمع ما، " و هي نتاج رقي المجتمع و حضارته ،لكن حظ الناس منها يختلف من شخص إلى أخر،فهناك الجاهل و المتعلم و المثقف وواسع الثقافة."[3]

إنّ الثقافة في الرواية تختلف و تتغير من شخصية أخرى، فمثلا هناك فرق شاسع بين ثقافة رشدي و ثقافة أخيه أحمد، فهو من النوع الذي يقرأ ولا يفهم، لذا باءت جلّ محاولاته بالفشل، فلم تثقفه لا المدرسة و لا الحياة فيقول الروائي: " وسقط تحت أنقاذ المحاولات الفاشلة و الأمال الخائبة و الأوهام الضائعة "[4] .

1-عبد الله خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، ص 06 .

2-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص،104 .

3-عبد الله خمار،فن الكتابة،تقنيات الوصف7.

4-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص،31.

بينما انعكست ثقافة رشدي على حياته، تقدم في دراسته الجامعية و تمكن من الحصول على منصب عمل لائق، يقول نجيب محفوظ: " أتم رشدي دراسته، وتحصل على بكاريوس كلية التجارة، و توظف ببنك في مصر منذ عامين. "[1]

التعليم يساهم في مصير الفرد حسب نجيب محفوظ، لكنه ليس العامل الأساسي فالثقافة لا ترتبط فقط بمجال التعليم بل ترتبط إرتباطا وثيقا بالتربية، فهناك من لم يدخل قط المدرسة إلا أنّ الحياة علمته جلّ القيم و المبادئ و المعتقدات،فنجد مثلا في الرواية " الست دوليت " التي ثقفتها الحياة و علمتها أصولها و مبادئها، يقول الكاتب: " إقترب رمضان، فلم يعد يفصل بين هلاله و بين الطلوع سوى أيام قلائل، فلم تغفل أم أحمد عن ذلك، و كانت في الواقع المسؤولة الأولى عن جلال الشهر وجماله فتقول: " إنه شهر له حقوق إكماله واجباته "[2] .

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 30 .

2-المصدر نفسه،ص،77.

إنّ الوصف عمل فني راقي يقوم على الانتقاء لا على الوصف التفصيلي الممّل، لذا قد انتقى نجيب محفوظ في روايته " خان الخليلي "، ملامح الوجه خاصة العينين، ضف إلى هذا ركزّ على العمر و القامة و أهمل بعض التقنيّات الأخرى – إنْ صح التعبير – تجنبًا لملّل القارئ.

كما إستطاع ببراعة أن يرسم شخصيات الرواية في جانبها النفسي، كالعواطف و المشاعر و الذكاء والثقافة.

1-تـعـريـف الـمـكـان:

لــغـة:

تعددت تعريفات المكان من الناحية اللغوية في معظم المعاجم منها: ما جاء في لسان العرب في مادة (كون) أنّ مفهوم المكان هو" الموضع أمكنةٌ و أماكنٌ، توهموا الميم أصلا حتى قالوا تمكن من المكان، و قيل الميم في المكان أصل أنّه التمكن دون الكون و المكانة المنزلة ، يقال: فلان مكن عند فلان يعني المكانة و الوضع".[1]

عرفه المعجم الوسيط: " المكان جمع أماكن و أمكنة و أمكّن، موضع الشيء و المكانة جمع الجمع الموضع المنزلة: يقال مكين فيه: أي موجود فيه."[2]

و قد تناول القرآن الكريم أيضا كلمة (المكان)، فنجده في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا قَوْم اِعْمَلُوا عَلى مَكَانَتِكمْ﴾[3]

1-ابن منظور،لسان العرب، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1993 ،ط1،م13،ص،136.

2-ابراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط،مادة (و ك ن)،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر و التوزيع،ج1،ص،806.

3-القرآن الكريم ،سورة الرمز، الأية39.

اصطلاحا:

يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد " بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدّد ذو زمان معيّن"[1] "فهو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي و تنهض في كل عمل تخيلي"[2].

و تأسيسا على ذلك يمكننا النظر إلى المكان بوصفه، " شبكة من العلاقات و الرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجرى فيه الأحداث فالمكان يكون منظما بالدقة أكثر من العناصر الأخرى في الرواية"[3].

إذن المكان يلعب دورا أساسيا في أيّ عمل أدبي،فلا يمكن الاستغناء عنه في أي حال من الأحوال إذ يتخذ أشكالا و يتضمن معاني عديدة.

1- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات و مفاهيم، دار الأمان، الرباط، 2010،ط 1،ص 99.

2-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2009،ط2 ،ص 29.

3- المرجع نفسه، ص 32.

2 / فـي وصـف الأمـاكـن:

تحتاج الرواية إلى مكان تقع فيها أحداثها لكي تنمو و تتطور، فالمتأمل في أنواع الأمكنة في أيّة رواية يجدها تتفرع إلى فئات: فئة الأماكن العامة (أماكن الإنتقال) و فئة الأماكن الخاصة (أماكن الإقامة).

لقد ميز حسن بحراوي بين أماكن الإنتقال و أماكن الإقامة بقوله: "أما أماكن الإنتقال فتكون مسرحا لحركة الأشخاص و تنقلاتها كما تمثل الفضاءات التي نجد فيها الشخصيات نفسها كلّما غادرت أماكن إقامتها مثل: الشوارع، الأحياء، المحطات، و أماكن بقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات و المقاهي "[1].

إذن أماكن الإقامة هي الأماكن المغلقة: كالبيت، الغرفة، السجن،القبر... ، أما أماكن الإنتقال فهي الأماكن المفتوحة، كالشوارع، و الأحياء و المدن و غيرها.

1-الأمـاكـن الـمـغـلـقـــة:

" تتصف الأماكن المغلقة بالمحدودية، بحيث إن الفعل لا يتجاوز الاطار المحدّد كالبيت و الغرفة، تتميز هذه الأماكن بمميزات قد تكون إيجابية كالأمن و السلام و قد تكون عكس

1-حسن البحراوي، ، بنية الشكل الروائي،ص،40 .

هذا كليّا أي مميزات سلبية كالخوف و الرعب [1].

و من بين الأماكن المغلقة المذكورة في رواية خان الخليلي نجد:

- ✓ **البـيـت:**

" يمثل البيت كينونة الإنسان الخفية، أي أعماقه و دواخله النفسية، فحينما تذكر البيوت والحجرات فإننا نعلم أننّا نكون داخل أنفسنا "[2] .

البيت إذن مكان يقيم فيه المرء، ففي رواية خان الخليلي يعدّ صفة للآمان و الألفة والرحمة و الاطمئنان، فقدمه الكاتب على شكل مشاهد منها: " فرأى ردهة تمتد على يسار القادم على يمينها تقع حجراتان و في الناحية المقابلة المطبخ و الحمام ."[3]

و في موضع أخر من الرواية يصف لنا حجرة أحمد عاكف على أنها حجرة بسيطة و هذا ما جاء على لسان الروائي قائلا: " ألقى على حجرته نظرة فاحصة، فوجدها قد وسعت أثاثه...فعلى الشمال الفراش و على اليمين صوان الملابس، تليه المكتبة كدست عليها كتب

1-مهاجري ليندة، مرار حورية، البنية السردية (الزمن، المكان،الشخصيات)، في رواية الأعظم لإبراهم سعدي، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2013، 2014 ،ص33.

2-موحمد بوعزة، تحليل النص السردي، التقنيات و مناهج، دار العربية للعلوم، الجزائر، ط 1، ص 106.

3-نجيب محفوظ،خان الخليلي ،ص،10.

و لها نافذتان....."[1] .

إنّ البيت في هذه الرواية توفرت فيه كلّ مصادر الراحة رغم بساطته، كمّا أن تموقعه تموقعا حسنا يتوسط الحيّ، فأحيطت به عمارات مختلفة كثيرة، فهو ليس بيتا موحشا منعزلا.

✓ الــقــبــر:

القبر من أكثر الأماكن توحشا وأكثر إنغلاقا، فهو مكان يؤول إليه الإنسان بعد مماته غني كان أم فقيراً، كبيراً أم صغيراً، ووردّ ذكره في الرواية على النحو التالي: " فغر القبر فاه كأنه يتثاءب ضجرا من المأساة، ووضع النعش على الأرض وكشف الغطاء،ورفع رشدي ملفوفا في الكفن وغابوا به في جوف الأرض، و بلا رحمة حثوا عليه التراث، هكذا غاب عزيز وانتهت حياة "[2].

ففي هذا المقطع رسم لنا الروائي مدى معاناة أسرة أحمد عاكف و جيرانهم لفقدانهم رشدي الذي يمثل أعز الناس إلى قلوبهم و أقربهم بروحه المرحة.

✓ الأمــاكــن الــمــفــتــوحــة:

إنّ الأماكن التي آلفها الإنسان يرفض أن يبقى منغلفا بها دائما، بل تتفرع إلى أماكن

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص،11.

2-المصدر نفسه، ص 465.

أخرى مفتوحة،ومن بين هذه الأماكن المذكورة في الرواية نجد :

- ✓ **الـــمـــسـجد:**

المسجد مؤسسة دينية، اجتماعية، يؤدي فيه المسلمون الصّلوات الخمسة، هو مكان للعبادة و التوبة إلى الله عزّ و جلّ فذُكر في الرواية فيقول السارد: " هذا الحي في حمى الحسين رضوان الله عليه، و هو حي الدين و المساجد "[1] .

و يقول أيضا: " كان الأب أول المستيقظين، فتوضأ ثم غادر البيت فجرا نحو المسجد لصلاة العيد، أين استقبل أول القاصدين... مسبحين بحمد الله العلى "[2] .

- ✓ **الـــشـــارع:**

إنّ كثرة الشوارع و الطرقات لدليل قاطع على أهمية المدّن، فقد تكررت صورة الشارع بكثرة في الرواية.

كان الشارع في الرواية مكتظا بالناس يسوده جوّ من الضجيج و الصراخ و هذا دليل على استقرار أوضاع الحيّ أو المدينة، فهذه هي ميزة الشوارع و الطرقات، فمن المقاطع التي تبين ذالك قول الروائي: " رآى عن كثب العمارات الجديدة تمتد ذات اليمين و ذات الشمال،تفصل

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 465.

2-المصدر نفسه، ص 153.

بينهما طرقات و ممرات لا تحصى، و شاهد فيما حوله مقاهي عامرة و دكاكين متباينة ما بين دكان طعمية...و ملأت أذنيه أصوات و هتافات و نداءات..."[1].

تجري في الشوارع أحداث مختلفة، فهي أماكن أين يجتمع الناس، فيتعارفوا فيما بينهم.

✓ **الـــحـــيّ:**

" مكان نشأة الإنسان و يعدّ النواة الأولى للقرية و البلدة، و مثل هذه الأماكن تتسم بالدفء و الحنان و السلام و المحبة، و من هنا تبقى عالقة في الذاكرة "[2] .

لقد كان الحيّ في رواية خان الخليلي مكانا هاما جدّا، إذ يحمل عنوان الرواية، ضف إلى هذا الحيّ هناك حي السكاكيني أين أقامت فيه أسرة أحمد عاكف مدّة طويلة، يقول الروائي:"حدث هذا التغير بعد إقامة في السكاكيني لمدّة طويلة، إمتدت أعواما مديدة، استغرقت عقودا طويلة من العمر، إدخرت ما شاءت من ذكريات الصّبا و الشباب والكهولة"[3].

و في موضع آخر يصف الحيّ الجديد ألا و هو حي خان الخليلي، فيقول السارد: " كان

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 07.

2-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 52.

3-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص5.

الحي في مكان لا تشرق عليه الشمس، و ذلك أن سماءه في نواحي كثيرة، منها محجوبة لكثرة العمارات "[1].

بناءا على ما سبق يعدّ الحيّ في هذه الرواية ملجأ إتخذته عائلة أحمد عاكف أولا في حيّ السكاكيني، فكان الجوّ هناك يسوده القلق و الخوف خاصة الليلة الشيطانية التي زلزلت أفئدة القاهرة، فغيروا وجهتهم إلى حيّ أخر، ألا و هو خان الخليلي باحثين عن الأمن والسكينة.

- ✓ **المـقـهـى:**

عبارة عن مجلس أين يتجمع فيه الناس لتناول مشروبات معينة، كالقهوة و الشاي وغيرهما، هو مكان لتبادل أطراف الحديث، لذا قد أصبحت المقاهي عند الكثير من الناس أمر ضروري يومي لا غنى عنه.

" المقاهي علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي و الثقافي، و هذا ما أدى إلى انتشارها في العالم العربي، و نجد المقهى عند كبار الأدباء و المثقفين و السياسيين في مصر و بلاد الشام مكانا لصياغة الأفكار و توليدها"[2].

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي ،ص 8.

2- مهاجري ليندة، مرار حورية، البنية السردية (الزمن، المكان، الشخصيات) في رواية الأعظم لإبراهيم سعدي، ص 37.

يعد مقهى الزهرة في الرواية مكانا لالتقاء الأفندية قصد الترويج عن النفس و تبادل الأراء والأفكار و هذا ما نجده في المقطع التالي :"وغادر البيت قبل العشاء إلى الزهرة كعادته، فاجتمع الصحاب و راحوا يتسامرون و يحتسون الشاي، فدار الحديث حول الصيام "[1] .

نستخلص أن نجيب محفوظ جعل المقهى مكانا لتبادل الأخبار بين الأصدقاء في جوّ يغمره الضحك و السرور.

3/ تـقـنـيـة الـوصـف فـي الـروايـة:

من بين التقنيّات التي ركز عليها نجيب محفوظ في وصف أماكن الرواية نجد:

1/ <u>الأشـكـال</u>:

"عالمنا مليء بالأشكال الطبيعية المختلفة، فالإنسان، الحيوان، الأشجار و الأزهار و الفواكه كلها أشكال متباينة فيما بينها"[2].

استعمل نجيب محفوظ أشكال مختلفة لوصف حيّ خان الخليلي من منظور بطل روايته أحمد عاكف، الذي يقول مثلا: " فرأى أن العمارات شيدت على أضلاع مربع كبير المساحة وأقيمت في مساحة المربع التي تحيط بها العمارات مربعات صغيرة من الحوانيت تلتف بها

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص،85.

2-عبد الله خمار،فن الكتابة،تقنيات الوصف،ص1.

الممرات الضيقة..."[1]

و يقول أيضا: " و في الطريق الأيسر من الطريق، يبدأ خان الخليلي، و قد رأه من نافذته أسطحا بالية، و نوافذ متباعدة، مربعة، و أسقفا من القماش و الأخشاب ... و فيما وراء ذلك تملأ الفضاء المآذن و القباب و قمم الجوامع و أ سوارها "[2].

إنّ هذه الأشكال المختلفة سبب جمال و روعة الحيّ، فأستشف أحمد على أنه حيّ جديد بحكم تساوي أشكال بنيته .

2/ الألـــوان:

كم تكون الحياة كئيبة و باهتة، لو كانت بلا ألوان، " فهي التي تمنحها بهجتها و تزيد من بهائها، و لكل شيئ في الحياة لونه المتميز، فزرقة البحر غير زرقة السماء، و خضرة الأشجار و النباتات تختلف و تتدرج بإختلاف فصولها و أنواعها "[3] .

تقابلنا في عدة أماكن ألوان زاهية متنوعة، ممّا يزيدها زينة وجمالا، لكن نجيب محفوظ لم

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 09.

2-المصدر نفسه ،ص،12.

3-عبد الله خمار،فن الكتابة،تقنيات الوصف،ص،03.

يركز على تقنيّة الألوان في روايته إلا في موضع واحد ،يقول السارد : "في إحدى قوائمها لافتة كبيرة في أعلاها زينت بالألوان الزاهية (محل بقالة خان جعفر)"[1]،من دون ذكر لتلك الألوان فنجيب محفوظ ركز أكثر على الأشكال.

3/ الأضــواء:

الشكل و اللّون لا يرى في الظلام، " فلوحة الشروق تختلف عن لوحة الغروب، و لوحة منتصف النهار تختلف عن اللوحة التي رسمت في ضوء القمر أو الكهرباء أو الشموع وذلك تبعا لاختلاف الأضواء "[2]

تستعمل الأضواء في وصف الطبيعة أو الأماكن في أغلب الأحيان، فالروائي وصف ضوء الشمس عند الشروق بقوله: " تنطلق جماعات الموظفين في أبواب الوزارات كالفيضان العارم ... ثم تنتشر في الأرض تطاردها أشعة الشمس الموقدة و نورها الوهاج. "[3]

و يقول في موضع أخر واصفا نور الشمس عند الغروب: " و اختفى شعاع الشمس المنعكس على زجاج النافذة العليا من العمارات التي تواجه نافذته، فأدرك أن الشمس

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص ،32.

2-عبد الله خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، ص 03.

تغيب وراء قباب القاهرة "[1].

وصف الشيء و جماله يرتبط ارتباطا وثيقا بالضوء لما له من أهمية كبيرة فنجيب محفوظ ركز على الأشكال و الأضواء أكثر من الألوان و هذا ما أضفى لأماكن الرواية رونقا جماليا، كما أنها تثير انتباه القارئ لشدّة جمال المكان الموصوف و سحره.

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص24.

1/ وظائف الوصف :

تختلف وظائف الوصف باختلاف طبيعتها، فكلّ وظيفة تتميز عن الأخرى حسب الدور الذي تؤديه في الرواية، " فأينما توجد ظاهرة الوصف فلا محالة تتبعها وظائف "[1] .

من بين وظائف الوصف نجد:

1/ الـوظيـفـة الإخـبـاريـة:

تعد الوظيفة الإخبارية من أبرز الوظائف الرئيسية، و هذا راجع إلى الدور الفعال الذي تؤديه داخل العمل الروائي، " فوظيفتها تقديم المعارف و المعلومات لمتابعة السرد "[2] ، يقول السارد: "و جاءت أيام شدة و ألم، فغرق الشاب المريض في غمرة العذاب، و تقطع قلب الأم الذي يسند ظهره المهزول، فلم يغمض له جفن – مع تناوله المنوم– إلا ساعات معدودات في الهزيع الأخير من الليّل، و كثيرا ما أدركه الصباح و هو قاعد على فراشه، و قد حطم السعال أضلعه... "[3] .

أراد الكاتب في هذا المقطع أن يخبر القارئ عن الحالة المزمنة التي شهدها رشدي أثناء

1–الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 203.

2–المرجع نفسه، ص 207.

3–نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 79.

مرضه الخطير.

و في مقطع آخر يخبرنا عن أهم حدث و هو إقبال شهر رمضان الكريم يقول الكاتب: "و جاء مساء الرؤية، و انتظر الناس بعد الغروب يتساءلون، و عند العشاء أضاءت مئذنة الحسين إيذانا بشهود الرؤية، و قد اجتازوا بالإضاءة عن إطلاق المدافع...، فطّاف بالحيّ و ما حوله جماعات هاتفة " صيام صيام كما أمر قاضي الإسلام "[1].

رغم أنهم في زمن الحرب و الخوف و القلق إلا أنهم استقبلوا شهر رمضان، فلم يهمل الكاتب ذكره، بل بالعكس قدسه تقديسا عظيما.

2/ وظيفة التطوير:

في وظيفة التطوير، يتميز الوصف بالحركة ، و هذه الأخيرة " تتصل حركة الأفعال بحيث يمكن لهذه الصفات أن تتغير في أعمال الشخصيات، و من شأنه تطوير أحداث الرواية "[2] .

يقول السارد: " كانوا مطمئنين إلى مسكنهم القديم، يخال إليهم أنهم لن يفارقوه مدى العمر، وما هي إلاّ عشية و ضحاها حتى صرخت الحناجر، "تبا لهذا الحيّ المخيف" و غلب الخوف و الجزع، و لم تعد ثمة فائدة ترجى من مراجعة الأنفس المذعورة، و إذا بالبيت القديم يضحى

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 79.

2-الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 287.

ذكر الأمس الدابر، و إذا البيت الجديد في خان الخليلي حقيبة اليوم و الغد "[1]

إنّ الليّلة الشيطانية التي زلزلت أفئدة القاهرة زلزالا شديدا، كانت سببا في تطوير الرواية، فالخوف الشديد و الذعر القاهر أدى بهم إلى اتخاذ قرار بالرحيل.

3/ وظيـفـة التـفـسـيـر:

في هذه الوظيفة، يقوم الوصف على تفسير سلوكات الشخصيات و أوضاعها و علاقتها ووصف الملابس و الأثاث و غيرها، مما " يساعد على تفسير بعض ما سلف من سماتها وأعمالها و أحوالها "[2].

فيقول السارد: " ابتل جبينه عرقا، و كانت الحال لا تخلو من لذة طريفة، ذلك أنه مقبل على استجلاء جديد، و استقبال جديد، مرقد جديد، و منظر جديد، جوّ جديد، و جيران جدّد....."[3] .

لقد وظف الكاتب الوصف هنا ليفسر سبب خوف أحمد عاكف لانتقاله من حيّه العتيق إلى مسكنه الجديد، تاركا كلّ ما له علاقة بذكريات ماضية.

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص،5.

2-الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 207.

3-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 06.

4/ وظـيـفـة الـتـمـثـيـل:

هذا النوع من الوظائف في الوصف، يتم فيه تمثيل سيمات بعض الموصوفات، – فعلى سبيل المثال – "عند وصف إحدى الشخصيات بالثراء و الذوق الرفيع أو العكس، نجد فيه تمثيلا لمظاهر هذه السمة من خلال وصف بيتها أو أثاثها" [1] .

وصف نجيب محفوظ سفرة الست دوليت بقوله: " و في الصالة سفرة، و قد هيئت، فوضع على ركن منها العيش و فرقت أمام كراسيها أكواب الماء و توسطها طبق ملآن بالفجل ..."[2] .

إنّ وصف هذه الصالة لدليل على أنّ الست دوليت لم تكن غافلة و لا يوم واحد بالاعتناء بمنزلها، رغم أنها في زمن الحرب و الرعب والألم الذي شهدته القاهرة آنذاك.

5/ وظـيـفـة الـتـعـبـيـر:

" عبّر الكاتب هنا عن أحوال الشخصيات، فوظيفة التعبير يضطلع بها الوصف المعبر أحوال الشخصيات و نفوسها و قيمتها، و يكون خاصة من خلال وصف الطبيعة وصفا

1– الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 208.

2–نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص 11 .

يستحق التعبير عن الأفكار و الأحاسيس، لكنه ليس إيغال في بواطن الشخصيات[1].

يعبر أحمد عاكف عمّا بداخله من حزن شديد و حرقة كبيرة لمرض أخيه رشدي، فيقول الروائي: " ... ظلّ طالّ الطريق مشتت الفكر موزع الفؤاد، مضطرب النفس، و لأول مرّة منذ أمدّ بعيد فكر في الموت...، فتخيل المقبرة النائية، التي ابتلعت شقيقه الأصغر، فخالها تنقص عن ثغرها تراب الأرض و تصغر فاها لابتلاع رشدي الحبيب الذي لا يدري كيف تكون الدنيا بدونه[2].

إنّ أحمد عاكف في هذه العبارات و الخلجات قد عبر عن مكبوتا ته و خوفه و ألمه القاهر في إمكانية فقدان أخيه الحبيب.

6/ وظـيـفـة الإسـتـبـطـان:

الوظيفة الإستنباطية هي وظيفة داخلية للإنسان، " أين تتعلق ببواطن الشخصيات و خلجات النفس و خواطر الذهن"[3]. و تتجلى هذه الوظيفة في الرواية في قوله: " فرض على نفسه عزلة

1-شتوي فاطمة الزهراء، بنية الوصف ووظائفه في رواية " شمس في علبة " لهوارة سعيدة، مذكرة نيل شهادة الماستر في الأداب، جامعة محمد خيذر، بسكرة، 2015، 2016، ص 55.

2-نجيب محفوظ،خان الخليلي، ص232.

3-الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 208.

قاسية عقب إحالته على المعاش، و هو في أواسط العمر، و بدا كأنه كرّس حياته للعبادة وتلاوة القرآن."[1]

و في هذا المقطع تعرض عاكف أفندي لصدمة نفسية جدّ مؤثرة إزاء إحالته على المعاش، فكانت أجرته لا تتجاوز ست جنيهات، فكانت أقسى أيام حياته، لذا قد فرض لنفسه عزلة قاسية لا يفارق فيها البيت إلا في فترات متباعدة.

نستنتج أن وظائف الوصف عند نجيب محفوظ متداخلة و مترابطة، فلا يمكن الاستغناء عن أيّ وظيفة منها نظرا لكونها تساعد في خلق الصورة و تطورها على مسار الرواية.

1-نجيب محفوظ،خان الخليلي،ص،17.

خاتمة

خـــاتمـــة:

تعتبر رواية "خان الخليلي" لنجيب محفوظ مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية و السياسية و الفكرية السائدة في مصر غداة الحرب العالمية الثانية.

يعتبر الوصف من أهم عناصر السرد نظرا لأهميته القصوى في النص السردي، و هذا الغرض ظهر في الشعر أكثر من النثر.

وصف الروائي شخصيات روايته وصفا دقيقا، مستعينا بتقنيّات الوصف الخارجي مثل (الوجه، العينان، العمر، القامة) و الوصف الداخلي مثل (العواطف و المشاعر، الذكاء، الثقافة).

إنّ تعدد الشخصيات في الرواية يواكبها حتما تعدد الأماكن و هذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى شقين و هما: الأماكن المفتوحة مثل (المسجد، الشارع، الحي، المقهى) و الأماكن المغلقة (البيت، القبر)، كما أن نجيب محفوظ ميزة ينفرد بها ألا و هي تنوع الأماكن في جلّ رواياته مماّ يفتح الحرية للشخصيات.

للوصف وظائف عديدة و متنوعة منها: (الوظيفة الإخبارية، وظيفة التطوير، وظيفة التفسير، وظيفة التمثيل، وظيفة التعبير، وظيفة الاستبطان)، و هذه الوظائف مترابطة فيما بينها، فلا وجود لوصف دون وظائف.

قائمة
المصادر والمراجع

1 / المـــصـادر:

1-القرآن الكريم.

2-نجيب محفوظ، خان الخليلي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط 6.

2/ الـمـراجـع:

1-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، ج1.

2-أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، 2004، ط1.

3-إليا الحاوي، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، دار الكتب اللبنانية للطباعة و النشر، 1987، ط2.

4-الأنصاري حسان بن ثابت، الديوان، المعارف، القاهرة، مصر، 1983.

5-أحمد الإسكندري، أحمد أمين علي الجازم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف، المفصل في تاريخ الأدب العربي، مكتبة الأداب، القاهرة.

6-أحمد شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، 1988.

7-إبراهيم عباس، تقنيّات البنية السردية في الرواية المغربية، المؤسسة الوطنية للنشر و الطباعة، الجزائر.

8-الأنصاري بن مالك، الديوان، دار الطباعة، بيروت، لبنان، ط1.

9-البحتري، الديوان، دار الكتب العربي، لبنان، 1994.

10-زهدي عبد الرؤوف، أدب صدر الإسلام و الدولة الأموية، دار الحنين، عمان، الأردن، ط1.

11-حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ط3.

12-محمد أولحاج، ديداكتيك التعير، تقنيّات و مناهج، دار الثقافة، 2001.

13-محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيّات و مفاهيم، دار الآمان، الرباط، 2010، ط1.

14-ماجد مصطفى في الأدب العربي الحديث و المعاصر، دار الفكر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1.

15-النعمان عبد المعتال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للنشر، 1965.

16-ناظم راشد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة و النشر، شارع ابن الأثير، 1989.

17-سامي مكي الغاني، الإسلام و الشعر، علم المعرفة، الكويت، 1996، ط1.

18-عبد العظيم علي فتاوي، الوصف في الشعر العربي، مصر، 1949، ج1.

19-عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، علم المعرفة، الكويت، 1998.

20-الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة.

21-قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتاب العلمية، بيروت.

3/ المعاجم و القواميس:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ط1.

2-إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع، اسطنبول، ج1.

3-محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، 1999، ط2.

4-مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، دار محمد للنشر، تونس، 2010، ط1.

4/ المجالات:

1-إليا الحاوي، الصورة في الشعر القديم و الشعر الجديد، مجلة الآداب، فبراير، 1960.

2-علي عبد الرحمان فتاح، تقنيّات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، العدد، 152.

3-ثائر سمير، حسن الشمري، لمحات في وصف الربيع في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 08.

5/ الـرسـائـل الـجامـعـيـة:

1-مهاجري ليندة، مرار حورية، البنية السردية (الزمان، المكان، الشخصيات) في رواية الأعظم لإبراهيمي سعدي، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2013، 2014.

2-مهارة الوصف، وزارة التربية و التعليم، الإدارة التربوية، قسم التعليم المتوسط، إدارة المعارف التربوية.

فـهــرســت المحتويات:

مــقــدمــة ..... أ، ب.

الفصل الأول:

ماهية الوصف ؟

1/ تعريف الوصف

أ/لغة.....1

ب/اصطلاحا.....2

2/ الوصف في الأدب 5الى30

أ/الوصف في العصر الجاهلي.....5

ب/ الوصف في العصر الإسلامي 13

ج/الوصف في العصر الأموي.....18

د/الوصف في العصر العباسي.....21

3 / تقنيّات الوصف 29

الفصل الثاني:

تقنيّات الوصف في رواية خان الخليلي؟

المبحث الأول :

1/ تعريف الشخصية.....37

2/ في وصف الشخصيات .....38.

3/ تقنيّة الوصف .....49.

المبحث الثاني :

1/ تعريف المكان 57

2/ وصف الأماكن 59

3 / تقنيّة الوصف .....65.

المبحث الثالث: وظائف الوصف؟

1/الوظيفة الإخبارية.....69

2 /وظيفة التطوير.....70

3/وظيفة التفسير.....71

4/وظيفة التمثيل.....72

5/وظيفة التعبير.....73

6/وظيفة الإستبطان.....73

خاتمة.....76

قائمة المصادر و المراجع 77